# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

# République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج
–البويرة–
كلية الآداب واللغات
التخصص:دراسات أدبية.

جامعة البويرة

**Ministre de l'Enseignement Supérieur**
**et de la Recherche Scientifique**
**Université Akli Mohand Oulhadj -Bouira-**
**Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-**
**Faculté des lettres et des *lan*gues**


# وظائف الشخصيات والأحداث في رواية "الحضارة أمي" لإدريس الشرايبي مقاربة سيميائية

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر**


**إعداد الطالبتين:**

- **نادية بوعزيز**
- **نبيلة سيدي علي**

**إشراف :**

**د/ بوعلي كحال**


**لجنة المناقشة**

- **زين الدين بن زياني.....رئيسا**
- **بوعلي كحال .....مشرفا ومقررا**
- **محمد بوتالي.....مناقشا**

**تاريخ المناقشة: 2016-06-29**

بسم الله الرحمن الرحيم

# شـــكر وتقـــدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد

يشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور بوعلي كحال الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته وملاحظاته العلمية القيمة ومتابعته لهذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن صار على ما هو عليه الآن .

وكذلك نشكر كل من ساعدنا على اتمام هذا البحث وقدم لنا يد العون والمساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لاتمام هذا البحث ونخص بالذكر:

الأستاذ: محمد بوتالي / عبد القادر لباشي ( جامعة البويرة ).

الأستاذ: جمال بن عمار ( جامعة تيزي وزو ).

فكانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا .

وفي الأخير نسأل الله العلي العظيم أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذه المذكرة.

# إهـــــــداء

إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل

إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله

أمي الغالية

إلى من دفعني إلى العلم وبه ازداد افتخارا

إلى عوني وسندي في الحياة

أبي العزيز

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة

إلى مؤنسي أيامي إخوتي :

أمين –أميرة .

إلى كافة الأهل

إلى كل الأصدقاء ومن كانوا برفقتي

أثناء دراستي في الجامعة

إلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي

إلى شريكتي في العمل نبيلة

إلى مشرف هذا العمل أستاذي العزيز

د/ بوعلي كمال

إلى من مهدوا الطريق أمامي للوصول إلى ما وصلت

اليه اليوم

أهدي هذا الجهد المتواضع.

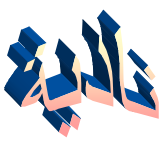

# إهـــــــداء

إلى حكمتي .....وعلمي

إلى أدبي.....وحلمي

إلى روح أمي الطاهرة

إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله

أبي الغالي

إلى سندي و قوتي وملاذي بعد الله

إلى من أثروني على نفسهم

إلى من علموني علم الحياة

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي

إلى من كانوا ملاذي وملجئي

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات

إلى من سأفتقدهم....وأتمنى أن يفتقدوني

إلى من جعلهم الله إخوتي في الله ....ومن أحببتهم

في الله طلاب قسم الأدب العربي

إلى من يجمع بين سعادتي وحزني

إلى من لم أعرفهم ..... ولن يعرفونني

إلى من أتمنى أن أذكرهم .....إذا ذكروني

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم .....في عيوني

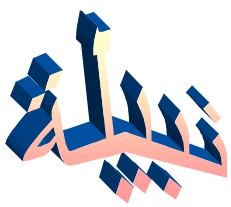

# مقدمة

أولت الرواية العربية اهتماما خاصا بالصراع الحضاري، حيث عرفت تطورا في علاجها لإشكالية اللقاء الحضاري مع الأخر، إيمانا منها بأهميته في مسيرة الفن والحياة وضرورته لفهم الذات، حيث اشتد الصراع بين الثابت والمتحول، بين الموروث الأصيل والمجتلب المقتبس، أين عمد الروائيون الى تصوير هذه العلاقة مع الأخر، كل وفق عالمه المتخيل الذي يدرج من خلاله خلاصة فكره ونظرته، ونظرة مجتمعه نحو الأخر.

وخير ممثل لهذا الصراع هو الأدب الفرانكفوني بأدبائه ومبدعيه، حيث كتبت أقلام عديدة عن هذا الموضوع، فصورته بدقة ووضوح، والتي نجد من بينها، مولود فرعون من خلال رواية "الأرض والدم" و"الدروب الوعرة "، ومولود معمري في رواية "الهضبة المنسية"، وإدريس الشرايبي في راويته "الماضي المنقضي". وغيرها من الروايات التي عبرت عن مدى الاختلاف بين العالمين من جهة، وعالجت معضلة الصراع الحضاري من جهة أخرى، فبينت الحقيقة الفعلية والخادعة للأخر.

إذا كانت الرواية العربية –عموما– قد عالجت هذا الموضوع، فإن الرواية المغربية – خصوصا– قد اهتمت اهتماما كبيرا بهذا الصراع، الذي عاشه المغرب خلال فترة الاحتلال الفرنسي، إضافة الى كون الإنسان المغربي وكما هو معروف نشأ وترعرع في ظل التقاليد بكل ما ينطوي عليه هذا المصطلح من معان إيجابية وسلبية، والتي وجدنا من بين أعلامها "إدريس شرايبي" صاحب رواية "الحضارة أمي".

عبرت رواية "الحضارة أمي" عن مدى احتدام الصراع بين التقاليد والحضارة، هذه الأخيرة التي عرفها الانسان المغربي مع وجود الاحتلال الفرنسي في وطنه، حيث تجلت من خلال المدرسة العصرية، وانتشار الوسائل السمعية البصرية والمعلوماتية وقيم الحضارة الغربية، حيث وسع إدريس الشرايبي من مفهوم الحضارة لتشمل الصناعة والتجارة، والنظم السياسة، وأسلوب المعيشة (المأكل، الملبس، العلاقات...)، والتقاليد القيم الدينية والأخلاقية، الى درجة اعتبر "الأم" حضارة قائمة بذاتها، فهي تقوم بكل الاعمال (تطحن القمح–تعجن–تنظف–تطبخ– ترقص–تحكي....) فهي صانعة الحضارة.

عدت شخصيات الرواية أكثر وعيا وأقدر على تمثيل موضوع الصراع الحضاري، والتي تخضع بدورها لعوامل ومؤثرات عديدة ومعقدة في عملية تشكلها، حيث نجدها تؤثر وتتأثر بالعالم

والمجتمع والعصر وفق ما تملكه من قوى فكرية خاصة ومواهب كثيرة، والتي تختلف وتتنوع بين الشخصيات المرجعية، الإشارية، الإستذكارية، الرئيسية، الثانوية.....

تضطلع الشخصية الى جانب هذا كله بوظائف مختلفة ومتباينة تعتبر ذات أهمية بالغة وخصوصا في السيميائيات السردية، التي تعرف الشخصيات بوظائفها –الأفعال الصادرة عنها– فما هو مهم في الروايات هو الوظائف لا الشخصيات التي تتغير من قصة لأخرى. ناهيك عن الأحداث التي تتبع من أفعال الشخصيات وتصرفاتها وطبائعها، والتي تتأثر وتأثر فيها.

ولقد كان اختيارنا لموضوع الشخصية بكل مقوماتها( الوظيفية والحدث ) في الرواية كونها تمتاز بالتكامل مقارنة بالمسرحية أو الشعر.....

فالرواية وسيلة للتعرف على جل المواضيع التي تشغل الأمة، حيث تعالج الإشكاليات الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، فهي الطريق لبناء مشاعر مؤثرة أو لبناء تجربة إنسانية مؤثرة ومثيرة والتي لطالما كانت بعمق وصدق بمشاعر الشخصية الروائية.

وعلى هذا النحو يمكن للرواية أن تعبر بمرونة أكثر من جميع الأنواع الأدبية عن الشخصية ومشاكلها الأساسية (الثقافية، العلمية).

تزخر الرواية بشخصيات عدة، شكلت الطريق لتكاثر الآراء وتعدد المواقف التي تؤدي الى تضارب وجهات النظر، ما يجعنا نسبح بين العديد من وجهات النظر وسط هذه الشخصيات الروائية المختلفة. فلكي نتعرف على ماهية الشخصية عموما لابد من الإلمام الكافي بجميع المعالم المحيطة بها (النفسية، الفكرية، الإجتماعية..).

يعد إدريس شرايبي من كبار الأدباء العرب والذي يعتبر أدبه نموذجا راقيا مزج بين الثقافات، حيث كان من الأوائل الذين وظفوا مبكرا خصائص الرواية الأمريكية المتميزة بالسرعة وإنتقاء الشخوص المفعمة بالحركة والإيقاع الحي والمتنوع. فهو من كبار الكتاب الذين عرفهم الوطن العربي، إضافة إلى أنه عاش في خضم فترة الانتداب الفرنسي التي شهدها المغرب على سوادها ومعاناتها والتي ذاق مررتها الشعب المغربي، الذي غرق في الجهل والتقاليد البالية، لتكتب الروايات عن حقيقة هذا الواقع المر، والتي وجدنا من بينها رواية "الحضارة أمي" التي صور من خلالها إدريس الشرايبي

– الذي كانت كتاباته باللغة الفرنسية – معاناة الشعب المغربي في ظل الاستعمار الفرنسي، ومدى تأثير التقاليد عليه، حيث عكس من خلالها موقفه من مجتمعه الغارق في الجهل والتقاليد من جهة ومن الحضارة والحداثة من جهة أخرى.

وقد عملنا على الإجابة على جملة من التساؤلات وعلى رأسها ماعلاقة الوظائف بالشخصيات الحكائية؟ وما الأحداث التي نتجت عن هذه الشخصيات؟وما مفهوم الوظيفة؟ وكيف يمكن دراسة الشخصية من المنظور السيمائي؟ وما هي الأحداث والمسوغات التي انطوت عليها رواية "الحضارة أمي"؟

وبناء على هذه التساؤلات اخترنا أن يكون عنوان بحثنا، "وظائف الشخصيات والأحداث في رواية "الحضارة أمي" لإدريس شرايبي مقاربة سميائية".

وللإحاطة بمختلف جوانب الموضوع إخترنا للبحث خطة تقوم على فصلين: "وظائف الشخصيات في رواية الحضارة أمي و بنية الأحداث ومسوغاتها في رواية الحضارة أمي، بالإضافة الى المدخل النظري الذي تناولنا فيه مفهوم السيماء ومفهوم الشخصية.

ففي البداية قمنا بتعريف الوظيفة عند بروب ورولان بارت، والشخصية عند فليب هامون وغريماس، لنطبقها في الأخير على الرواية، بعدها تطرقنا لمفهوم الحدث والمسوغ كما طبقناهما على الرواية، وفي الأخير ختمنا البحث بمجموعة من النتائج.

فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو قائم على آليات التحليل السيميائي، الملائم لهذا النوع من البحوث حيث عمدنا من خلال هذه المقاربة إلى الاستعانة بأدوات إجرائية أخرى كالوصف والتحليل، وإعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع من بينها، "بنية النص السردي" لحميد لحمداني، و" في نظرية الرواية" لعبد الملك مرتاض، ومراجع أخرى، هذا فيما يخص المراجع العربية، أما المترجمة فقد استعنا بكتاب "سيميولوجيا الشخصيات الروائية "لفليب هامون، و"مورفولوجيا القصة " لفلاديمير بروب.... والتي أنارت لنا الطريق لإنجاز هذا البحث.

كغيرنا من الباحثين اعترضت طريقنا بعض الصعوبات، وفي مجملها ضيق الوقت، وقلة المراجع في المكتبة، إلا أن الله وفقنا في أنجاز هذا البحث المتواضع.

وفي الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث، فإن أصبنا فهو من الله وإن أخطأنا فهو من أنفسنا.

نتقدم بالشكر الجزيل، لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث ولأستاذنا المشرف الدكتور بوعلي كحال الذي كان سندا وموجها لنا من بداية العمل الى نهايته.

# مدخل نظري

## مفهوم الشّخصيّة من المنظور السيميائي

**المبحث الأوّل:** مفهوم المنهج السّيميائي

1. تعريف السيمياء

**المبحث الثّاني:** مفهوم الشّخصيّة الحكائية

1. تعريف الشخصية الحكائية

- عند فلاديمير بروب
- عند فيليب هامون
- عند غريماس

## I- المبحث الأوّل: مفهوم المنهج السّيميائي

### تعريف السّيمياء

شهدت المناهج النّقديّة في الدّراسة الأدبيّة تطوّرا ملحوظا عندما تعدّدت أنواعها واختلفت في تحليلها للخطاب الأدبي عموما بدءا من المنهج التّاريخي والوصفي وصولا إلى المنهج السّيميائي، الذي ظهر في فترة متأخّرة وهذا راجع إلى أنّ الخطاب السّردي لم يخضع لدراسة جدّية بعكس الخطاب الشّعري الذي عرفت قوانينه وقواعده منذ زمن بعيد.

ويعود الفضل في ظهور هذه الدّراسة إلى الباحث الرّوسي فلاديمير بروب (Vladimir Propp) الذي أخضع الخطاب السّردي لأوّل مرّة للدّراسة المحايثة وذلك من خلال كتابه مورفولوجيا الحكاية الشّعبية والتي خصّها بالتّحديد في محاولة الكشف عن الخصائص التي تميّز الخطاب السّردي (الحكاية الشّعبية) عن غيرها من الخطابات وبهذا أصبح «المنهج السّيميائي أحد أهم المناهج النّقديّة المعاصرة في مقاربة جميع أنواع الخطابات الأدبيّة وتتبّع الأنشطة البشريّة والتي تبحث في المعنى وكيفية تشكّل الدّلالة من خلال ردّه إلى العناصر التي أنتجته، حيث يقوم هذا المنهج على دراسة البنية العميقة للخطابات دلالة ومنطقا، والبنية السّطحية تركيبا وخطابا ومن ثم يهدف المنهج السّيميولوجي إلى اكتشاف البنيات الدّلاليّة التي تتضمّنها الخطابات والأنشطة البشريّة بنية ودلالة ومقصديّة والبحث عن الأنظمة التّواصليّة تقعيدا وتجريدا ووظيفة»[1].

وعلى هذا الأساس فإنّه لا يمكن دراسة أيّ نص أو خطاب دراسة جادّة، علميّة وموضوعيّة إلاّ بتطويع المنهج السّيميائي الذي يعتبر هذه الظّواهر مجرّد علامات، وإشارات،

[1]- ينظر: جميل الحمداوي، الاتجاهات السّيميوطيقيّة، التّيارات المدارس السّيميوطيقيّة في الثّقافة الغربيّة، مكتبة الألوكة. ص6. www.alukah.net

رموزا وأيقونات...الخ الشيء الذي يفرض علينا دراسته وفق ثلاث مستويات ممثلة في: البنية والدلالة والوظيفة[1].

تعتبر السيمياء (sémiologie) من العلوم التي شهدت تطورا سريعا خلال القرن العشرين وذلك منه: «ظهور كتاب فردناند دو سوسير F.Desaussure في علم اللغة العام إلى آخر أبحاث رولان بارت R.Barthes وك ميتزK.Metz»[2].فمهمة تحديد هذا المصطلح وإعطائه مفهوما عاما وشاملا من الأمور الصعبة جدا.لهذا السبب تعددت الآراء في تعريفه فتعددت مصطلحاته وتعريفاته.

لقد انقسم الغربيون بين متعصب لمصطلح السّيمولوجيا وآخر للسّيميوطيقا، وفي هذا الصّدد نشير إلى ملاحظة غريماس (Grimas) التي أشار من خلالها إلى أهم المصطلحات الشائعة والقريبة من هذا المفهوم والتي ذكرت«المعاجم السيميائية المختصّة أبرزها: " Sémiotique, Sémasiolgie, séméiologie, Sémiologie"، فالأوربيون يفضلون مفردة السّيميولوجيا التزاما منهم بالتّسمية السّويسريّة، أمّا الأمريكيّون فيفضّلون مصطلح السّيميوطيقا الذي جاء به بورس Pierce»[3].

وهذان المصطلحان الشّائعان يعرفان على أنّها «ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات، سواء أكانت لغوية أو غير لغوية (أيقونية، حركية...)، فإذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللّغويّة، فإنّ السّيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللّغويّة التي تنشأ في حضن المجتمع، ومن هنا، فاللّسانيات هي جزء من السّيميولوجيا حسب العالم السويسري فردناند

[1]– المرجع السابق، ص ن.

[2]– برنارتوسان، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، ط2، إفريقيا، الشرق، بيروت لبنان 2000م. ص5.

[3]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان 2010م. ص13.

دوسوسير، ما دامت السيميولوجيا تدرس جميع الأنظمة، كيفما كان سننها وأنماطها التّعبيريّة: لغوية أو غيرها»[1].

ولقد خص دي سوسير هذا العلم في دراسة العلامات ذات البعد الاجتماعي، حيث نجده يقول: «ويمكن أن نتصور علما يدرس حياة الأدلّة في وسط الحياة الاجتماعية»[2].

وبهذا التّعريف يكون دي سوسير ربط بين السيمياء والمجتمع، أي أنّه ربط حياة العلامات بالحياة الاجتماعيّة فأكسبها وظيفة اجتماعيّة، إضافة إلى العلاقة الوطيدة التي تجمعها بعلم النفس الاجتماعي.

في حين ذهب رولان بارث(Roland Barthes) إلى عكس ما جاء به دي سوسير حينما قال: «ربّما يجب علينا قلب مقولة سوسير والتّأكيد على أن السّيميولوجيا أحد فروع الألنسية»[3].

فالسّيمياء جزء من اللّسانيات وفرع من فروعها وليس العكس.

والسّيمياء حسب بيير غيرو(Pierre Guirand) هو العلم الذي «يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، أنظمة الإشارات والتعليمات، الخ... وهذا التجديد يجعل اللّغة جزءا من السّيمياء»[4].

أما الأمريكي شارل سندر بيرس عرف السّيمياء بقوله: «ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسّيميوطيقا... والسّيميوطيقا نظرية شبه ضروريّة أو نظريّة شكليّة للعلامات»[5].

---

[1]– جميل الحمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية، ص7.

[2]– رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر2000م. ص170.

[3]– محمد داني، ما هي السيميائيات والصورة، Semât، جامعة البحرين 2013. ص148.

[4]– دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، المنطقة العربية للترجمة، بيروت لبنان 2008م. ص37.

[5]– جميل الحمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية، ص10.

وعلى هذا يكون بيرس قد خص أو حصر وظيفة السّيمياء في وظيفة منطقية وفلسفية ليس إلا.

أما عند العرب فالأمر لا يختلف كثيرا حيث عرف هذا العلم تضاربا في المصطلحات مثل: السّيميائية، السّيميولوجيا، السّيميوتيكا، حيث نجد عبد السلام المسدي وصلاح فضل قد استحسنا مصطلح سّيميائية بينما نصر حامد أبو زيد وسيزار قاسم قد استخدما مصطلح السّيميوطيقا وغريهم من النقاد الذين اختلفوا في ترجمتهم لهذا المصطلح.

وللسيميائية جذور متأصلة في التاريخ، حيث وجد مصطلح السمة (Signe) الذي هو «من أصل لاتيني Signum، وهو مرادف للأمارة والعلامة وهو مصطلح عربي سليم»[1].

كما ورد ذكرها في لسان العرب في مادة (س و م) في قوله: «أن السومة والسيمة والسيمياء: العلامة. وسوم الفرس: جعل عليه السّيماء وقوله عزّ وجلّ: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾*، قال الزجاج: روى عن الحسن أنّها ببياض وحمرة، وقال غيره: مسوّمة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدّنيا ويعلم من بسماها أنّها ممّا عذّب الله بها، قال الجوهري: مسوّمة أي عليها أمثال الخواتيم. قال أبو بكر: قولهم عليه سيما حسنة معناه

[1]– طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليلي الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجا، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليلي الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر). ص215.

*–سورة الذريات: الآية 33، 34: قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

علامة، وهي مأخوذة من وسمت أسيم، وقيل: الخيل المسومّة هي التي عليها السّما والسومة وهي العلامة. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾*، قرئ بفتح الواو، آراء معلمين.

والمسوّمة: المعلمة، سوّم فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريره أو بشيء يعرف به، قال: والسيما ياؤها في أصل واو، وهي العلامة يعرف بها الخير والشّر. قال الله تعالى: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾**[1].

فالسّيمياء تعني السمة أو العلامة التي يتميز بها الشيء أو نميزه بها وذلك من خلال وضع علامة عليه لتمييزه عن غيره. وهذا يعني أن السّيمياء ارتبطت بمعنى العلامة.

ونخلص إلى أن السيمياء ارتبطت منذ ظهورها بعلم الألسنية وشملت عدّة علوم منها علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والإعلام... وغيرها، وهي على العموم تهتم بدراسة كل أنساق العلامات سواء كانت لسانية أو غير لسانية كما أنّها تتفرّع إلى عدّة أنواع وهي: سيميائية التواصل وسيميائية الدّلالة وسيميائية الثّقافة.

---

*-سورة آل عمران الآية 125 :قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

** -سورة البقرة الآية 273 :قال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، مج6، بيروت لبنان 1999. ص441.

## المبحث الثاني: مفهوم الشخصية الحكائية

تشكل الشخصية أحد العناصر الأساسيّة في الكتابة الروائية على الرغم من وجود تصورّات ومفاهيم نظريّة تتباين في تحديدها للمصطلح، وتعتبر الشّخصية واحدة من المخلوقات التي يبتدعها المؤلّف لتعايش وقائع الحكاية وتعانق تفاصيلها فتقوم بالدّور المسند إليها في الحكاية، فهي تسخر لإنجاز البرنامج الذي وكل الكاتب إليها إنجازه.

### 1- تعريف الشخصية الحكائية لغة

جاءت دلالة لفظة الشخصية في المعاجم العربية من خلال مادة (ش خ ص) فقد ورد في لسان العرب لابن منظور: «شخص: جماعة شخص الإنسان وغريه، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشّخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعدي وفي قوله تعالى: ﴿لا شخص أغير من الله﴾، الشّخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشّخص، العظيم الشّخص، والأنثى شخيصه، وقيل: شخيص إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بين الشّخاصة»[1].

والشخص في هذا التعريف يقترب إلى الإشارة على الجسم الذي يمكن رؤيته بالعين المجرّدة، وسواء كان هذا الشّخص ذكر أم أنثى أو غيره، ونقول عن إنسان أنه "شّخيص" إذا كان على خلق عظيم بين الأشخاص. والتي تدل على معنى البروز والظّهور.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، مج7، بيروت لبنان 1999. ص51.

وفي المعجم الوسيط: «شخص الشيء. شخوصا: ارتفع و–بدا من بعيد و– السهم: جاوز الهدف من أعلاه. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾*، وشخص فلان–شخاصه: ضخم جسمه. فهو شخيص وهي شخصية، وشخص فلان: حان سيره، الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، وغلب في الإنسان وجمع أشخاص، وشخوص، والشّخصيّ: أمر شخصي: يخصّ إنسانا بعينه، الشّخصية: صفات الشّخص من غريه. ويقال: فلان ذو شخصيّة قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل»[1].

والشّخصية في كل التعريفين تحمل معنى واحد، وهو العلوم والارتفاع، وهي أيضا تدل على الحضور القوي، وكذلك مجموع الصّفات التي تميّزه عن غيره.

## 2– اصطلاحا

يرى بارث «أن مفهوم الشّخصية في الشّريعية الأرسطيّة، لأمر ثانوي وهو يخضع كليا لمفهوم الفعل»[2]، أي أن الفعل هو الذي يحدّد الشّخصيّة وليس العكس. فقد عرف هذا المصطلح عدّة تغيّرات منذ أرسطو، حيث أضحى من الصّعب الإلمام به وإعطائه تعريفا شاملا كاملا، وهذا راجع إلى الخلط الذي وقع بين الشّخص والشّخصيّة «إلا أنّه مع ظهور البنيوية السردية قد تبيّن الفرق بشكل واضح ودقيق بين الشّخص والشّخصيّة حينما اعتبر الشّخص Personne إنسانا من دم ولحكم ينبض في الواقع بالحياة والحركة، ويحيل على عالم مرجعي مادي

*–سورة إبراهيم الآية 42 كاملة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

[1]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004م. ص475.

[2]– رولان بارت، مدخل إلى التّحليلي البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 1993م. ص2.

محسوس، بينما الشّخصيّة Personnage في المقابل ما هي إلا كائن ورقي تخييلي، وقد صنعه المبدع ليتواصل مع متقبل افتراضي وخيالي بدوره»[1].

وبهذا تكون البنيوية السّرديّة قد فصلت بين الشّخص والشّخصيّة وأزالت هذا اللّبس الكبير الذي وقع فيه النقد الأدبي حيث تمكنّت السّيميائيّات من تجاوز ثنائيّة الشّخص والشّخصية عن طريق استبدالها بثنائية العامل والفاعل.

والشّخصية لم تقف عند هذا الحد من التّعريف فقد تكون «أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصّة أو المسرحيّة كشّخصيّة ليلى الأخيلية في رواية مجنون ليلى لأحمد شوقي»[2]، فهي إمّا أن تكون خيالية من صنع المبدع ونسج خياله حيث يسند إليها الوظائف والأدوار وفق تصوّره: كما يصبغ عليها السّمات والخصائص والأوصاف التي تتناسب معها وذلك حسب تخيّله لهذه الشّخصيّة، وإمّا شخصيّات واقعيّة يستقيها من الواقع – العالم الحقيقي– كما يمكن تحديد الشّخصيّة «على أساس أعمالها وأقوالها ومشاعرها، طبقا لاتّساقها مع الأدوار المعياريّة، أو طبقا لاتفاقها مع مجالات محدّدة من الأفعال، أو تجسيدها لبعض العوامل»[3].

فهي كائن حي تقوم بأدوار وكلت إليها ومن خلالها تتحدّد لنا وظيفتها إذا كانت أساسيّة أو ثانويّة.

---

[1]– جميل الحمداوي، مستجدات النقد الروائي، ط1، شبكة الألوكة، 2011م. ص180. www.alukah.net

[2]– مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، ط2، بيروت لبنان 1984.ص208.

[3]– مفيد نجم، كائنات من ورق: الشخصية الروائية في روايات إماراتية، نزوى، الإمارات، ع6، يوليو 2001م. ص15.

ونحن في بحثنا عن الشّخصية والوظائف والأحداث سنكتفي بذكر إنجازات بروب غريماس وهامون وذلك لتميّزهم في دراستهم، فكل واحد أو بالأحرى كل دراسة تكمل الأخرى، ضف إلى ذلك أنّهم خير من مثل السّيميائيّة السّرديّة، وهذا يفسر سبب اختيارنا لهم.

**أ- الشخصية عند "فلاديمير بروب"**

تعتبر دراسة بروب من أهم الدراسات السيميائية للشخصية والتي تمثلت من خلال كتابه مورفولوجيا الحكاية الشعبية، والتي عكست عمق اهتمامه بالجانب المورفولوجي للشخصية الحكائية، حيث عظم من خلالها جل أفعالها ومختلف الوظائف الصادرة عنها فأولى الاهتمام بالشكل على حساب المضمون.

فقد عمد "بروب" إلى تحديد الشّخصيّة انطلاقا من الوظيفة التي تؤديها داخل السّرد، حيث تمثّل: «وظائف الشّخصيّات العناصر الثّابتة والمتكرّرة في القصّة العجيبة بعكس الشّخصيّة التي تعتبر عنصرا متحوّلا، وبذلك توصل إلى حصر هذه الوظائف في واحد وثلاثين وظيفة»[1]، تم توزيعها على الشّخصيّات وحصرها في سبعة أدوار وهي: «حقل عمل البطل، حقل عمل المانح، حقل عمل المساعد، حقل عمل الأميرة، حقل عمل الطالب، حقل عمل البطل، حقل عمل البطل المزيّف. وكل حقل من الحقول السّبعة يقابله مجموعة من الأدوار يمكن أن نقوم بها شخصيّة من الشّخصيّات»[2].

لقد حدّد "بروب" الشّخصيّة في سبعة أنواع، فجعلها مقتضبة مقارنة بالوظيفة التي أسهب في تفصيلها إلى واحد وثلاثين وظيفة، خاضعة للترابط والترتيب.

---

[1]- فلاديمير روب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمر، ط1، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 1996م. ص210.

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص97، 98.

**ب- الشخصية عند "فيليب هامون" (Philippe Hamon)**

تعتبر نظريّة "هامون" عن الشّخصيّة من أهم النّظريّات الحديثة المنجزة إلى غاية يومنا هذا. وقد حدد هذا المفهوم بدقة عندما قال «إلا أنّ اعتبار الشّخصيّة، وبشكل قبلي، علامة، أي، اختيار "وجهة نظر" تقوم ببناء هذا الموضوع وذلك من خلال دمجه في الإرساليّة المحدّدة هي الأخرى كإبلاغ، أي مكونّة من علامات لسانيّة»[1].

يتضح من هذا المفهوم أن "هامون" يعطي للشّخصيّة بعدها الدّلالي أي يعتبرها دليلا لغويّا مكونّا من دال ومدلول ووظيفتها تبليغية، مثل اللغة التي تنحصر وظيفتها في إقامة التّواصل.

كما يرى «أنه عوض أن تكون مقولة بسيكولوجية تحيل على كائن حي يمكن التّأكد من وجوده في الواقع، وعوض أن تكون مؤنسنة (قصر الشّخصيّات على الكائنات الحيّة الإنسان خصوصا)، وعوض أن تكون مقولة خاصّة بالأدب وحده، فإنّ هذه المقولة، على العكس من ذلك، علامة ينسحب عليها ما ينسحب على العلامة اللّغويّة من نظم وقوانين، إنّما علامة فارغة، أي بياض دلالي لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدّد إنّها كائنات من ورق على حدّ تعبير بارث»[2].

وأيضا « يمكن لأيّ كاتب من كتّاب الرّواية أن يطلق على شّخصيّة من شخصيّاته علامة من العلامات، كما يمكن أن يطلق حروفا معيّنة عن الاسم الأصلي الطّويل، فمثلا الفرنسيّون كانوا يطلقون على ممثّلتهم "بريجيت باردو B.B" تودد وتلطفا فأي شيء يمكن أن يحلّ محل

[1]- فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار الكلام، الرباط 1990. ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص8.

الاسم التّقليدي للشّخصيّة الّروائية، فمثلا: الرقم علامة على اسم، الضّمير علامة على اسم، وتمثّل الشّخصيّات الروائيّة تمثيلا حقيقيّا»[1].

هذا التعريف للشّخصية مستمّد من المفاهيم السّيميائيّة التي ترى أن العالم كلّه عبارة عن علامات ورموز.

فالشخصية لم تعد محصورة في الإنسان وإنّما أصبحت علامة ينطبق عليها ما ينطبق على العلامة اللّغويّة من أسس وقوانين ويمكن تسميتها بالحروف والأرقام. ومن ثمّ فهي دلالة فارغة ودلالتها لا تأتى إلا من خلال موقعها والعلاقة التي تنسجها مع الشّخصيّات الأخرى، حيث تمتلئ دلالتها تدريجيا من خلال القراءة.

قسم فيليب هامون الشّخصيّات إلى ثلاثة أنواع استنادا إلى وجود ثلاث علامات متمثلة في العلامات التي تحيل على مرجع العلامات ومحفل الملفوظيّة والعلامات الرابطيّة. وعلى هذا قدّم لنا ثلاثة أنواع من الشّخصيّات وهي:

- شّخصيّات مرجعيّة.
- شّخصيّات إشارية.
- شخصيّات استذكارية[2].

**ج- الشخصيّة عند "غريماس"**

يتجلى مفهوم الشّخصيّة عند غريماس من خلال ربطه بين الشّخصيّة ومسألة الدلالة. وبهذا تعد الشّخصيّة غير مستقلة بذاتها بشكل يجعلنا نتناولها بعيدا عن الدّلالة ممّا يجعل دراستها تحتم علينا دراسة بنية الشّرد الرّوائي بصورة عامّة.

[1]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 240، الكويت ديسمبر 1998. ص86.

[2]- ينظر: فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص8.

واستخدم غريماس مصطلحين اثنين للدّلالة على الشّخصيّة هما: العامل والممثل (Acteur-actant) فالعامل حسب غريماس «يمكن أن يكون ممثلا بممثلين متعددين. كما أنه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصيا ممثلا: فقد يكون مجرد فكرة، كفكرة الدهر، أو التاريخ، وقد يكون جمادا أو حيوانا...الخ، هكذا تصبح الشخصيّة مجرد دور يؤدي في الحكي بغض النظر عمن يؤديه»[1].

وهذا راجع إلى أن غريماس رأى أن مفهوم العامل أشمل من مفهوم الشّخصيّة حيث أنّه لا ينطبق فقط على الإنسان بل يتعدّاه إلى غيره من الأشياء كالحيوانات والأشياء والجماد.

وكما سبق وأشرنا إلى المصطلحين الذين استعملهما غريماس للإشارة إلى الشخصية، حيث يرى أنّ «المستوى العاملي تتخذ فيه الشّخصيّة مفهوما شموليّا يهتّم بالذّوات المنجزة لها. ومستوى ممثلي (نسبة إلى الممثّل) تتخذ فيه الشّخصيّة صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي، فهو شخص فاعل، يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد، أو عدّة أدوار عامليّة»[2].

وهنا يمكن أن تكون الشّخصيّة بصورة فرد (نجيب)، أو صورة جماعيّة (الجنون) أو صورة مجرّدة (القدر).

وعلى هذا الأساس بنى غريماس نموذجه العاملي الذي يقوم على ستة عوامل متمثّلة في العامل (الذّات، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المساعد، المعارض) المرتبطة مثنى مثنى في ثلاثة علاقات هي: علاقة الرغبة، علاقة التواصل، علاقة الصراع.

يتضح لنا أنّ نموذج غريماس في التّحليلي لا يتأتى إلا من خلال ستّة عوامل وهي بدورها تتأتّى في ثلاث علاقات.

---

[1]– حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت 1991. ص52.

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

# الفصل الأول

## وظائف الشّخصيّات في رواية "الحضارة أمّي"

**المبحث الأوّل:** مفهوم الوظائف والشّخصيّات الحكائية

1. الوظائف عند بروب ورولان بارت
2. العوامل عند غريماس
3. الشخصيات عند فيليب هامون

**المبحث الثّاني:** الشّخصيّات ووظائفها في رواية "الحضارة أمي"

1. الشخصيات المرجعية
2. الشخصيات الاستذكارية

**المبحث الثّالث:** النّموذج العاملي في رواية" الحضارة أمي"

1. المستوى السطحي
   - بنية العوامل
   - حركية البناء العاملي
2. المستوى العميق
   - المربع السيميائي

## المبحث الأول: الوظائف والشخصيات الحكائية

### 1- الوظائف عند "بروب" و"رولان بارت"

يعتبر كتاب "مورفولوجيا الحكاية الخرافية" لصاحبه فلاديمير بروب من أهم الدراسات التي تناولت موضوع الوظائف بالدراسة والتحليل والذي قدم من خلاله النموذج الوظيفي للشخصيات «حيث يرى أنّه من الضّروري تحليل الحكاية اعتمادا على بنيتها الدّاخليّة وليس اعتمادا على التّصنيف التّاريخي أو التّصنيف الموضوعاتي اللّذين قاما بهما من سبقوه في البحث، فقد انتقد عددا من هؤلاء في كتابه»[1].

يرى "بروب" أن الشيء المهم في دراسة وتحليل الحكاية هو «التساؤل عما تقوم به الشّخصيّات، أمّا من فعل هذا الشّيء أو ذلك وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها، إلا باعتبارها توابع لا غير»[2]، فالأساس الذي يقوم عليه تحليل الحكاية هو وظائف الشّخصيّات، أمّا الشّخصيّات كذوات وأوصافها هي مجرّد مكمّلات للوظائف لا غير «فالوظائف هي الخالقة للشّخصيّات وليس العكس»[3].

تمتاز الوظائف عنده بخاصية التكرار، وهذا بحسب السياق الذي ترد فيه إذ أنها قد تكتسب دلالات مختلفة إذا ما أدرجناها في سياقات متباينة، ولهذا يعرّف الوظيفة على أنّها «ما تقوم به الشّخصيّة من فعل محدّد من منظور دلالته في سير الحبكة»[4].

وقد حدد الوظائف التي تقوم بها الشّخصيّات في الحكاية العجيبة في واحد وثلاثين وظيفة وزّعها على الشّخصيّات الأساسية في الحكاية، التي حصرها في سبع شّخصيّات أساسيّة:

---

[1]- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص24.

[3]- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء2001م. ص19.

[4]- فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، ص38.

«1- المعتدّي أو الشّرّير (Agresseur ou méchant).

2- الواهب (Donateur).

3- المساعد (Ausciliaire).

4- الأميرة (Princesse).

5- الباعث (Mandateur).

6- البطل (Héros).

7- البطل الزّائف (Faux héros).»[1]

يشير "بروب" إلى أن هذا النّموذج العام والخاص بالشّخصيّات يمكن استخدامه "كنسق بنائي عام إذ قد تتغيّر أسماء الشّخصيّات وكذا مظاهر الأفعال غير أنّ المضامين الخاصّة لكل دائرة تظلّ واحدة»[2]، فتوصّل في الأخير إلى أنّ العناصر الثابتة في الحكاية هي الوظائف التي تقوم بها الشّخصيّات بغض النّظر عن الطّريقة التي تم إنجازها بها وأنّ العناصر المتغيّرة هي أسماء الشّخصيّات وملامحها وصفاتها... إذ اعتبر الوظائف أهم من الشّخصيّات نفسها والتي تقوم بعدد من تلك الوظائف المحدودة.

أما رولان بارت فدراسته «كانت شاملة لأنه لم يحصر الوظائف في نوع حكائي معيّن، بل تحّدث عنها باعتبارها وحدات تكون كل أشكال الحكي»[3]. إذ أنّه لم يحصر الوظيفة في الجملة، أي أنّ الوظيفة عنده لا تتأسس على الجملة فقط، وإنّما قد تطول هذه الجملة أو تقصر حيث يمكن للكلمة الواحدة أن تؤدي وظيفة معيّنة في الحكي إذ ما نظر إليها في إطار سياق

[1]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص25.

[2]- نبيلة بونشادة، بنية النص السردي غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، تخصص أدب عربي حديث، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2005/2004م.ص23.

[3]- حميد لحمداني، المرجع السابق، ص28.

خاص. فمثلا حين يقال لنا: «رنّ الهاتف في مكتب جيمس بوند فتناول أحد الأجهزة الأربعة الموضوعة على طاولته فإن كلمة أربعة بمفردها تشكل وحدة وظيفيّة. لأنّها تحيلنا إلى تصور لا غنى عنه للحكاية بمجملها، وهو وجود تقنيات عالية بتصرف بوند»[1].

كما يميز "بارت" بين نوعين من الوظائف والتي اصطلح عليها بالوحدات وهي إما "إدماجية"* أو "توزيعية"*، ملحا في ذلك على التحفيز التأليفي*، فالروائي لا يذكر أي شيء في الحكي عبثا، إذ أنّ لكل إشارة معنى معيّن مرتبط حتما بما سيفصح عنه الحكي لاحقا ولو كان بصورة عابرة فإذا «ذكر المسدّس في موضع مثلا، فإنّ الوظيفة المنتظرة هي استخدام هذا المسدس فيما يلي من الحكي لتنفيذ فعل ما»[2].

إذن وحسب "بارت" لا وجود لأي شيء في الرواية دون أن يكون له معنى أو دلالة، فكل ما يذكر في السرد لابد وأن يتضمّن دلالة ما، والتي نستنبطها –نحن– من تتبعنا لمساراته السردية.

---

[1]– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنجليزي، فرنسي)، ط1، دار النماء، مكتبة لبنان ناشرو. ص174.

*–الوحدات الإدماجية(unitesintegratives): وهي على خلاف الوحدات التوزيعية لا تتطلب بالضرورة علاقات فيما بينها. فكل وظيفة تقوم بدور العلامة، تحيل فقط على مفهوم ضروري بالنسبة للقصة المحكية، فكل ما يتعلق بوصف الشخصيات والأخبار المتعلقة بهوياتها أو وصف الإطار العام الذي تجري فيه الأحداث. كلما تتم بواسطة الوحدات الإدماجية.

*–الوحدات التوزيعية (unitesdistntentionnelles): وهي وحدات تتطابق مع الوظائف التي تحدث عنها بروب، وهي نفسها وظائف التحفيز التي أشار إليها توماتشفسكي، إذ أنّها تتطلب بالضرورة علاقات مع بعضها البعض.

*–التحفيز التأليفي: فكل حافز أو إشارة في القصة لا ينبغي أن يرد بشكل اعتباطي فلابد أن تكون لهما وظيفة أو علاقة بما سيأتي في القصة.

[2]– حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص29.

## 2- العوامل عند "غريماس":

استفاد "غريماس" في بناء تصور للنّموذج العاملي من مفهوم العوامل في اللسانيات وبالأخص مفهوم "تسنيير" (Tisniére) الذي شبّه فيه الجملة بالمشهد. «ومن وجهة نظر علم التركيب التّقليدي تعتبر الوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة، تكون فيها الذات فاعلا، والموضوع مفعولا، وتصبح الجملة أيضا –وفق هذا التّصور– عبارة عن مشهد وهكذا يستخلص غريماس فاعلين أساسيين يقوم عليهما الملفوظ البسيط يصفهما في شكل متعارض كالتالي:

الذات # الموضوع.

المرسل # المرسل إليه»[1].

انطلق "غريماس" في بناء نموذجه العاملي وتطويره من الأبحاث الشكلانية التي تناولت الحكاية العجيبة وخصوصا "بروب"، ليصل في الأخير إلى نموذج متكامل عن العوامل يقوم على ستة عناصر خاضعة للمزاوجة، كل زوج يحكمه محور دلالي معين، وفق ثلاث علاقات.

«1–الذات– الموضوع ـــــــ محور الرّغبة: (Relation de désir).

2–المساعد– المعيق ـــــــ محور الصّراع: (relation du Lutte).

3–المرسل– المرسل إليه ـــــــ محور الإبلاغ: (Relation de communication)»[2].

[1]– المرجع السابق، ص32، 33.

[2]– فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص11، 12.

## 3- الشخصيات عند "فيليب هامون":

تمثل الشخصية أحد العناصر الأساسية في الكتابة الروائية، حيث تشكل العمود الفقري لها، فالشخصيّة يمكن أن تكون رئيسية أو ثانوية، عميقة أو مسطحة، فاعلة أو منفعلة، وهذا حسب الأدوار التي تقوم بها. ولقد قسم "هامون" الشخصية إلى ثلاث فئات:

«1- فئة الشخصيّات المرجعية.

2-فئة الشخصيات الإشارية.

3-فئة الشخصيات الاستذكارية»[1].

### 3-1 الشّخصيّات المرجعيّة

نتعرّف على هذا النّوع من الشّخصيّات من خلال الخلفيّات المرجعيّة التي نحتفظ بها في أذهاننا، أو من خلال الرّجوع إلى النّصوص التي تناولت حياة هذه الشّخصيّات « فالشّخصيّة المرجعيّة هي شخصيّة سبقت المعرفة بها وبالعالم الذي وجدت فيه».[2] وتتمثّل من خلال شخصيّات تاريخيّة " الظّاهر بيبرس "« شخصيّات أسطوريّة( فينوس ). شخصيّات مجازيّة (الحب، الكراهية)، شخصيّات اجتماعيّة( العامل-الفارس-المحتال) تحيل هذه الشّخصيّات كلّها على معنى ممتلئ وثابت حدّدته ثقافة ما».[2]

هذه الشّخصيّات معروفة على مستوى الفرد والجماعة من خلال التّاريخ والثّقافة والتّداول لدى عامّة النّاس. فهي ثابتة ومحدّدة مسبقا في ثقافة أمّة من الأمم، لها بعدها الثّقافي والاجتماعي، أو التّاريخي....وغيرها فهي« تحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة. إن

---

[1]- المرجع السابق، ص8.

[2]- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ط1،عالم الكتب والنشر والتوزيع، الجزائر 2002. ص 81.

2- فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص 24.

3- المرجع نفسه، ص ن.

قراءاتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثّقافة، وباندماج هذه الشّخصيّات داخل ملفوظ معيّن فإنّها تشتغل أساسا كإرساء مرجعي يحيل على النّص الكبير للإيديولوجيا أو الثّقافة».[3]

يستقي الرّوائي هذه الشّخصيّات من عوالم نصّيّة أو شفهيّة ويوظّفها في روايته محافظا على بعض ملامحها وصفاتها، ولهذا فإنّ الشّخصيّات تقرأ وفق إطار زمكاني معلوم ومحدّد.

**3-2- الشّخصيّات الاشاريّة**

تمثّل هذه الفئة من الشّخصيّات إشارات تدلّ على حضور القارئ أو المؤلّف أو ما ينوب عنهما في النّص، فهي بمثابة واسطة بين الكاتب والمتلقّي ( القارئ ) و« يمكن أن ينسحب هذا المفهوم على أعضاء جوقة التراجيديا الكلاسيكيّة الذين يتدخّلون بتعليقاتهم على ما يحدث في المسرحيّة».[1] و« الشّخصيّة الاشاريّة مفهوم موجّه بالدّرجة الأولى إلى حضور الكاتب الذي يتّخذ أشكال تمويهيّة مختلفة»[2]،فهي تحيل على وجود صوت مختلف عن صوت الشّخصيّات الورقيّة. « ولا يمكن، نتيجة ذلك، حصر هذا الحضور في صيغة محدّدة مثل (أنا) أو (هو)، أو شخصيّة رئيسيّة أو ثانويّة».[3]

وبالتّالي يصعب القبض عليها، فالكاتب يعمد إلى جعلها غامضة عن طريق التّشويش أو عمليّات التّقنيع، إذ على القارئ أن يقرأ الرّواية ويفهمها فهما جيّدا، ليتمكّن من تحديد هذه الشّخصيّات.

---

[1]- المرجع السابق، ص 24.

[2]- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص82.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

**3-3- الشّخصيّات الاستذكاريّة**

وتسمّى بالشّخصيّات المتكرّرة، وتحديدها يحتاج إلى الإلمام بمرجعيّة النّظام الخاص بالعمل الأدبي، الذي يمكّننا من تحديد هويّتها، إذ يقوم هذا النّوع من الشّخصيّات على الاستذكار (الماضي) أو الاستشهاد بالأسلاف أو التّكهن وغيرها، التي تظهر في النّص« من خلال أجزاء ملفوظية متفاوتة الحجم ( جملة، كلمة، فقرة....الخ)». [1]

ووظيفة هذه الشّخصيّات «هي وظيفة تنظيميّة وترابطيّة بالأساس....إن الحلم التّحذيري. مشهد الاعتراف والتّمني والتّكهن....كل هذه العناصر تعد أفضل الصّفات، وأفضل الصّور لهذا النّوع من الشّخصيّات». [2]

أي أنّ وظيفتها تكمن في التّنظيم وربط أجزاء العمل السّردي، حيث تكون ممثّلة في النّص من خلال مقاطع وملفوظات سرديّة والتي تتعلّق عادة إمّا بالتّمني أو التّكهّن أو الاسترجاع...إلخ.

لذلك يجب أن يكون القارئ متفطّنا في قراءته للنّصوص الأدبيّة ليتمكّن من القبض على هذه الشّخصيّات، وحتّى يحسن الفصل بين أنواعها، كما قد تنتمي الشّخصيّة الواحدة إلى هذه الأنواع الثّلاثة في وقت واحد، يقول: « قد تنتمي شخصيّة ما إلى هذه لأنواع الثّلاثة في وقت واحد، أو بشكل تتابعي، فكل وحدة تمتاز بأبعادها المتعدّدة الوظيفية داخل السّياق». [3]

وقد اشتملت رواية "الحضارة أمي " على جلّ هذه الأنواع، حيث عرفت تمازجا ملحوظا بين شخصيّات عديدة ومتباينة مندرجة في إطار تلك الشّخصيّات التي ذكرناها سابقا، والتي مزج

---

[1]- المرجع السابق، ص ن.

[2]- فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ص 25.

[3]- المرجع السابق، ص25.

بينها الكاتب ببراعة والتي سنقتصرها في دراستنا على فئتي الشّخصيّات المرجعيّة والاستذكاريّة.

**المبحث الثاني: الشّخصيّات ووظائفها في رواية " الحضارة أمّي "**

**1-الشّخصيّات المرجعيّة**

تقرأ هذه الشّخصيّات في ضوء هويّة محدّدة، وفق إطار زماني ومكاني معلوم، يؤدّي إلى إقامة جسر تواصل بين (النّص/ القارئ)، والذي يبنى على مدى استيعاب القارئ لثقافة وخلفية مثل هذه الشّخصيّات التي تملك دلالات مختلفة عن بعضا البعض، كل حسب إمكاناته وقدراته والدّور الموكّل إليه.

- **الشّخصيّات التّاريخية**

يتميّز حضور الشّخصيّة التّاريخيّة على مستوى بنية النّص "الحضارة أمي" بقوّة رمزيّته ودلالته، ومن بين هذه الشّخصيّات التي تمتلك مرجعيّتها بين ذاكرة الشّعوب العربيّة عامّة والمغربيّة خاصّة. " الجنرال ديغول "و" تشرشل "...وغيرها من الشّخصيّات الأخرى التي تمتلك حمولتها السّياسية التّاريخيّة. وهي أسماء لم تبرز على مستوى السّرد بكلّ تفاصيلها، بل ورد ذكر بعض السّمات المميّزة لها. والتي تسهم في إضاءة وتحديد الحقبة الزّمنيّة والمكانيّة التي نشطت خلالهاهذه الشّخصيّات المرجعيّة وبالأخص الفترة التي كان فيها المغرب تحت وطأة الحماية الفرنسيّة، وبهذا ربطت القارئ بتلك الحقبة الزّمنيّة والثّقافة السّائدة فيها لفهم عالم النّص.

ووجود هذه الشّخصيّات حفّز الشّخصيّة الرّئيسيّة " الأم " على الإصرار في المضي قدما، والرّغبة أكثر في التّغيّر والتّغيير، فاكتسبت كل القوّة لمواجهة مثل هذا الإنسان المستفز والمستبد الذي خنق حريّات الشّعوب وأقام حريته عليها.

-«أحضرنا له معنا علما من أجل التّعبير بأنّ شعوبنا هي كذلك موجودة على الأرض، تتوق بدورها إلى الحريّة والدّيمقراطيّة يجب أن يعرف ذلك».[1]

فهي تسعى لمقابلة " ديغول " لاعلامة برغباتها، ورغبتها في إثبات وجودها وكيانها وفرض رأيها، على أنّ المرأة لا تختلف عن الرّجل في شيء وأنّ بمقدورها القيام بما لم يقم به الرّجل ذاته.

-«قل له، إنّه لا يوجد على الأرض الرّجال فقط، يوجد كذلك النّساء ولم يتشاوروا معهن، نحن موجودات، أنت ترى جيّدا».[2]

وهنا تتجلّى بوضوح فلسفة إثبات الوجود، التي هي نواة أساسيّة في الرّواية، والتي تمثّلت من خلال رحلة البحث عن الهويّة والذّات.

-« قل؟ روحي أين هي؟ ماذا تعمل؟ لماذا؟ هل لدي روح؟ لماذا؟ ماذا أصبحت روحي؟ هل كبرت هي أيضا؟ لماذا؟ ماذا تشبه؟ فص الثوم الذي ندقّه في المهراس. أو المكنسة التي تركنها وراء الباب؟ ولماذا؟ هل بمقدورها يوما ما أن تغنّي، وترقص، وتجعل هيكلي يطقطق رقصة "الكلاكيت " وتضرب جلدي كجلد الطّبل؟ أنّها في الظّل على الدّوام، وتريد أن تبرد، أعرف ذلك».[3]

---

[1]- إدريس الشرايبي، الحضارة أمي، تر: سعيد بلمبخوت، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ابريل2014. ص 116.

[2]- المصدر نفسه، ص 118.

[3]- المصدر نفسه، ص 128-129.

وإذا ما نظرنا إلى حالة الشّعوب في تلك الفترة نراها تعاني الأسر والعبوديّة، والأم واحد منهم، وهي تمثّلهم في الرّواية وتترجم رغبة هذه الشّعوب التي تقر في نفسها بحقّها في الحريّة والعيش بسلام وبكرامة، على أنّ كلّ البشر سواء لا أحد أفضل من الآخر حتى يعيش الضّعيف وهو عبد للقوي.

كما ورد ذكر بعض الشّخصيّات التّاريخيّة التي كان لها دور فعّال في صنع الحضارة من خلال اختراعاتها وابتكاراتها واكتشافاتها، التي تنوّعت بين الهاتف، والكهرباء، والرّاديو...وغيرها ونذكر منها " جراهام بيل "، والتي يرجع لها الفضل فيما توصّلت إليه " الأم" من تعلّم وتحضّر ورقي، فهده الشّخصيّات ومن خلال اختراعاتها مثّلت الوسيلة أو الأداة التي مكّنتها من الاتّصال بالعالم الخارجي، الذي لطالما كان غريبا عليها. كما أنّها ترمز إلى العالم الغربي باعتبارها شخصيّات غربيّة والتي تمثّل ذلك العالم المتطوّر والقوي المجهز بأحدث الوسائل وفي مختلف المجالات.

وفي مقابل هذه الشّخصيّات الغربيّة توجد شخصيّات عربيّة لها تاريخها الخاص. تمثّلت في شخصيّات دينيّة إسلاميّة مثل: الرسول (ص) والنّبي عيسى عليه السّلام اللذان يمتلكان مرجعيّتهما التّاريخيّة والدّينيّة في العالم وبالأخص الشّعوب الإسلاميّة. واللذان يحملان دلالات متعدّدة لما لهما من صفات و خصائص تميّزهما عن باقي البشر. إضافة إلى إشارة الكاتب إلى بعض الكتب السّماويّة كالقرآن، الإنجيل...وغيرها. التي جسّدت البعد الدّيني لهذه العائلة وبيّنت مدى ارتباطها به.

**ب- الشخصيّات الأسطوريّة**

شخصيّة " سيّدنا سليمان ": وهي شخصيّة أسطوريّة متضمّنة في قصّة الجن. ذلك الجن الّذي يحاور صوت الرّعد، وهذه الشّخصيّة إن دلت على شيء فهي تنم على ثقافة الأم وطريقة

تفكيرها، فهي ذات تفكير تقليدي يؤمن بالخرافات والأساطير ساذجة وفطريّة، والتي تعكس حقيقة المجتمع المغربي.

ج- **الشّخصيّات الاجتماعيّة**

ترتبط هذه الشّخصيّات بالتّركيبة الاجتماعيّة، وطبقات المجتمع، ولقد عرفت الرّواية عدّة شخصيّات اجتماعيّة مثل: بائع الأحذية-المذيع- العمّال-الخبّاز-مؤذّن الحي- الجندي...وهي في معظمها شخصيّات عابرة سمّيت بأعمالها.

وكلّ هذه الشّخصيات تحيل بشكل أو بآخر على تركيبة المجتمع المغربي وطبقاته خلال تلك الحقبة الزّمنيّة، والتي تبرز عاداته وتقاليده، أفكاره ومعتقداته، خصائصه وسماته. وسنقتصر هنا على الشّخصيّات الآتية:

- **بائع الأحذية**

صوره الرّاوي على أنّه إنسان متفهّم، " تقليدي وعصري في آن واحد:

-« كان تاجرا متفهّما، يمزج التقليدي والعصري واستطاع في رمشه عين أن يقارب المقياس على نعل أمي. كان يضع طربوشا عصريّا، وأسنانا من الذّهب. كان يضع مجموعة من أقلام الحبر الملوّنة في جيب سترته».[1]

فهو يعكس صورة تلك الجماعة من المجتمع المتفهّمة والواعية، والتي تمزج بين التّقليد والعصرنة، فهي بين-بين لامع التّقاليد ولامع الحضارة (متوازنة)، ولا يهمّها إلّا العيش بسلام.

[1]- المصدر السابق، ص58.

[2]-المصدر نفسه، ص 47.

- **مؤذّن الحي**

يمثّل ذلك الإنسان المتمسّك بدينه وقيمه الإسلاميّة، ذلك الملتزم الدّاعي للخير، فقد صورة الرّاوي على أنّه ورع وعصبي، ويؤدّي عمله بكل إخلاص.

-« مؤذّن الحي، رجل معروف بروعه وبعصبيّته، يجوب الدّروب والأزقّة مردّا عتابه على العصر وعلى أهله الذين يبتعدون عن الدّين...الرجال، النّساء والأطفال كانوا لا يتجاوبون مع الآذان، إلّا الأتقياء ومن هو أصم. ما دور الجامع؟»[2]

والذي عكس حقيقة الإنسان المغربي البعيد عن دينه وخالقه والذي لا يهمّه إلّا الأمور الدّنيويّة فهو مسلم بالاسم فقط. ولا يمتّ بأيّ صلة للمسلم الحقيقي، وبذلك كشف عمق الجهل الذي يتخبّط فيه المجتمع الغربي وخصوصا الجانب الدّيني الذي لا يفقهون فيه أيّ شيء إذ يعتبرونه مجرّد عادة مورثةعن الأجداد.

**2- الشّخصيّات الاستذكاريّة**

تلعب الشّخصيّات الاستذكاريّة دورا هاما في الرّواية. فمن خلالها يمكن التّعرّف على بعض مخفياتها، و يمثّل هذه الشّخصيّات هنا، وبدرجة كبيرة. "الابن الأصغر" الذي يقوم بسرد الجزء الأوّل من الرّواية " كيف كانت " والابن الأكبر " نجيب " الذي يقوم بسرد أحداث الجزء الثّاني " كيف أصبحت "، إضافة إلى شخصية " الأم " و " الأب.

ولتتبّع المسارات التّصويريّة لهذه الشّخصيّات نضع الجدول التّالي:

| الأسماء | الأوصاف | | | |
|---|---|---|---|---|
| الألقاب | جسميّة | أخلاقيّة | اجتماعيّة | ثقافيّة |
| الأم: المخلوقة مخلوقة زماننا الجميلة–الأم الصّغيرة الإنسانة– الزّوجة مخلوقة أيّام حياتك الوالدة– ماما اليانسة– امرأة العمة– الخالة– السّيدة الأستاذة– المسكينة روحي. | عيون صغيرة وديعة وهادئة بلون أسود–شعر طويل– نحيفة قصيرة– رشيقة جميلة– قلّة البصر مقاس حذائها 36. | تقليديّة– تخاف زوجها–قوّة الصّبر–الفطرة– الصدق– الإخلاص الشّجاعة الإقدام الحذاقة– أم حنون– زوجة مطيعة. | قبل زواجها: يتيمة فقيرة– خادمة الزّواج المبكر(13) بعد زواجها: ربة منزل تقوم بكل الأعمال زوجة و أم. | حالة1: غير متعلّمة جاهلة– تؤمن بالخرافات والأساطير. حالة2: متعلّمة مثقّفة– حيّة و باحثة عن الحقيقة. |
| نجيب:الابن الأكبر– الأخ– الابن– الولد الصّغير(صغيري) الكسول– السفاح مخ اللوبية– الغبي | طويل– قوي البنية– بدين–مقاس حذائه 46. | المزاح– كثرة الضّحك– التّهكم–الثّقة– الذّكاء–الاحترام– الكسل–الحنان– حب الوالدين. | عازب | متمرّد على المدرسة (لا يستوعب الكثير من الدّروس) يتمتّع بثقافة خاصّة. |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| البليد- الأحمق الكبير | | | | |
| الابن الأصغر: صغيري بني المهرج الصّغير- الأخ- فصيلة عرعار المقبرة- الجبن. | نحيف طويل | الشّجاعة- الذّكاء-الحنان- المحبّة-الجرأة. | زوج أب مغترب | متعلّم- مثقّف-مناهض للتّقاليد-مؤيّد للحضارة- يحب المطالعة وقراءة القصص. |
| الأب: الزّوج-الوالد-السيد ـــأبي- با- الرجل. | نحيل- قوي | الكرم ،الأخلاق الشّرف، الصّرامة،الطّيب، النّشاط،الفعاليّة، الذّكاء،الإحساس. | زوج أب لولدين سياسي(رجل أعمال). | مثقّف متعلّم. |

**1- شخصيّة "الابن الأصغر"**

يمثّل الإنسان المتعلّم والمثقّف المناهض للتّقاليد، المناصر للحضارة لديه أهداف محدّدة يصبوا إلى تحقيقها، يشكّل أحد أهم الأسباب في تغير "الأم"، تعكس هذه الشّخصيّة من خلال مواصفاتها وإمكاناتها تلك الفئة من المجتمع المتعلّمة والمثقّفة، الثّائرة على التّقاليد، والتي تمتلك إيديولوجيتها الخاصّة، والتي تسعى جاهدة لإخراج مجتمعها الغارق في اسر التّقاليد والجهل من

قوقعته ليرى النّور، فهي تمتلك كفاءات تمكّنها من إحداث التّغيير. والذي يتّضح من خلال صراعه الطّويل مع أمه بهدف توعيتها و جعلها ترى النّور.

-« يوما ما سأجعل الأشياء تتكلّم عن نفسها».[1]

-« قلت بصوت مرتفع ليلة بعد ليلة، و رأسي على الوسادة. يوما ما سيكون جميع البشر كذلك أحرارا».[2]

فهو يسعى جاهدا لإحداث التّغيير-أمه- والذي يرمز إلى رغبته في تغيير مجتمعه، لأنه يكره الجهل والتّقاليد البالية، يهوى الحريّة والتّحضّر، ولا يرضى بالذّل والحرمان وخنق الحريّات.

-« ما كنت أركّز عليه بإلحاح هو قوقعة الجهل، الأفكار الموروثة من قيم خاطئة والتي تسجنها داخل ذاتها...لماذا لا تكون هي؟ يمكن أن نرى النّور في بلد، نعيش في بلد آخر، ونموت في بلد ثالث. الأرض واسعة، وتسع الجميع. الرّخويات تعرف ذلك، نعم، حتى الرّخويات».[3]

إنّ الابن الأصغر ومن خلال الرّواية يسعى جاهدا لإخراج "أمه" من عزلتها وقوقعتها حتى تتمكّن من رؤية النّور الذي لطالما حرمت منه. فهو العامل الأول الذي ساهم في تحفيز الأم على خوض معركتها ضد التّقاليد والمجتمع لتتمكن في الأخير من الانفتاح على العالم الآخر الذي لطالما حلمت به.

[1]- المصدر السابق، ص 43.
[2]- المصدر نفسه، ص 61.
[3]- المصدر نفسه، ص 87-88.

وتوعية الأم هنا ما هي إلاّ رغبة هذا "الابن" في توعية مجتمعه. فالأم ترمز للمجتمع المغربي الغارق في الجهل والتّقاليد البالية، والذي يرغب الرّاوي في ايقاضه من سباته الطّويل حتى يرى النّور الغافل منه.

والذي عرّفنا من خلال مروياته على بعض الشّخصيّات ك"الأم" ، الأخ "نجيب" و"الأب"، وابنة عم الأم "مريم" وغيرها من الشّخصيّات.

حينما بدأ الرّاوي سرد قصّته عاد بذاكرته إلى الوراء ليتذكّر ماضيه وحياة الشّباب التي عاشها في المغرب قبل سفره إلى الخارج لإتمام دراسته. فتذكّر تلك الأم الطّفلة اليتيمة والفقيرة، التي عملت خادمة في أحد البيوت. والتي تزوّجت في سن مبكرة من رجل ثري بعمر والدها، وأخيه الأكبر "نجيب" الذي كان متمرّدا ومرحا و يتمتّع بشخصيّة منفردة، والمتعلّق بوالدته، حيث سافر معها في الأخير إلى الخارج. والأب الذي كان سياسيّا صارما وخاضعا للتّقاليد والأعراف ومطبّقا للقوانين والذي تحوّل في الأخير إلى مساند لزوجته، فدعمها ماديّا ومعنويّا.

إضافة إلى ابنة عم "الأم" "مريم" التي كانت أول شخص تواصلت معه الأم بعد دخول الهاتف إلى البيت. والتي قضت من خلالها على وحدتها وتواصلت مع العالم الخارجي. وغيرها من الشّخصيّات المختلفة والمتباينة.

بدأ الرّاوي سرد قصّته في الزّمن الحاضر بعد عودته للوطن.

-« ها هي الجنة التي كنت أعيش فيها فيما مضى: البحر و الجبل....كم تمنّيت العودة إلى هنا و أن تكون آخر أيّام حياتي في هذا المكان».[1]

[1]- المصدر السّابق، ص 17.

ليستذكر فيما بعد أحداث الماضي بكل تفاصيلها وشخصيّاتها من خلال استحضاره للماضي وأمنيّاته وتكهّناته....الخ.

-«قلت بصوت مرتفع ليلة بعد ليلة، ورأسي على الوسادة. يوما ما سيكون جميع البشر كذلك أحرارا».[1]

-« يوما ما سأجعل الأشياء تتكلّم عن نفسها».[2]

وتوضّح هذه العبارات أحلام الكاتب وتكهّناته التي تحمل أملا في تغير حال البشريّة. والتي تؤكّد إيمانه القوي في تغيّر العالم و تحرّر الشّعوب يوما ما.

هذا إضافة إلى العديد من الشخصيّات التاريخيّة الأجنبيّة مثل: " الرّجل الصّيني المثابر" و" الزّعيم الهندي الأمريكي" فكل منهما ينتمي إلى إحدى الشّعوب المعروفة في العالم من خلال الحروب التي قامت بها وإمكاناتها التي عبرت الحدود، فالصّيني معروف بجدّه ونشاطه وصبره والزّعيم الهندي الأمريكي متميّز بقوّته وصلابته واستحضار مثل هذه الشّخصيّات من طرف الرّاوي لم يكن عبثا، إذ أنّه استشهد بهما للدّلالة على ما تتحلّى به "الأم" من صبر وحزم وعزم وقوة. إذ أنّها لا تعرف الانهزام والاستسلام، فالزّعيم الهندي الأمريكي والرّجل الصّيني المثابر هما رمز للتّحدّي والقوّة التي تحملها الأم بداخلها والتي سيكون لها دور فيما ستقوم به لاحقا من خلال الحكي.

وإلى جانب كل هذه الشّخصيّات استذكر الرّاوي شخصيّات أخرى تمثّلت في شخصيّات ثقافيّة وأدبيّة من خلال إشارته إلى فيكتور هوغوا...الخ والتي ميّزت الشّخص الغربي عن الشّخص العربي. اللذان يفصل بينهما شوط كبير جدّا سواء فكريّا، أدبيّا، ثقافيّا أو دينيّا.

[1]- المصدر السابق، ص 61.
[2]- المصدر نفسه، ص 43.

إنّ توظيف الرّاوي لمثل هذه الشّخصيّات ما هو إلّا لإثبات الهوة الكبيرة والفرق الكبير الجلي بين المجتمع العربي والغربي هذا الأخير المتميّز بثقافته، معتقداته، قوّته وحضارته على عكس الأول الغارق في الجهل والخرافات والبدع، وهنا يغدو الفرق واضح بين المجتمع العربي التّقليدي والمجتمع الغربي المعاصر.

**2- شخصية الابن الأكبر "نجيب"**

يمثّل الابن الأكبر في العائلة، الذي يتميّز بصفات وسمات خاصّة تميّزه عن أخيه الأصغر، وبالإضافة إلى الصّفات السّابقة-الجدول-فإنّه يتمتّع بصفات أخرى كالشّراهة في الأكل، التّدخين وتعلّقه الشّديد بأمه.

أول ما يلفت الانتباه لهذه الشّخصيّة هو تخصيص الكاتب له دالا تمثل في الاسم "نجيب" على عكس الشّخصيّات الأخرى التي اكتفى بإعطائها اسم القرابة-العلاقة الأسريّة-وتميّز "نجيب" بالاسم يعكس تميّز شخصيته عن الآخرين ونظرته للحياة والعالم والتي توحي بإنفراده بسمات خاصة به وسط العائلة. كما يبيّن رغبته الشّديدة في تغيير أمّه إلى الأفضل، وتحرّرها من كل القيود فهو المحفّز والمساند دائما وأبدا لأمّه حتى أنّه لم يكوّن عائلة وبقي أعزب حتّى يبقى مع عائلته وخصوصا "أمه" ليساندها ويقف معها في كلّ الظّروف والأحوال.

-« أوه لّا أبي. أنا مازلت هنا، أجلس قبالتك، ضع النّظّارة».[1]

فنجيب يمثّل ذلك الشّاب المتمرّد على المدرسة والتّعليم-كونه لا يستوعب الكثير من الدّروس- ذلك الشّاب الذي يهوى العيش على حسب هواه،يحب اكتشاف العالم على طريقته الخاصّة، ووفق اختياره وإرادته، لا تحدّه حدود، فكل شيء بالنسبة له بلا حدود.

[1]- المصدر السّابق، ص 171.

-«كل شيء عند نجيب كان من دون حدود: الأفراح-الهوايات-شهوات الأكل بالنّسبة إلى أمي قام بحركة غير لائقة حين باع كتبه ودفاتره ومحفظته ولم يرجع إلى الثّانويّة.

- ما تبقّى من دراسته الثّانويّة "التّقنيّة والتّجريبيّة كذلك" أكملها في الشّارع مع عصابة من أقرانه الذين يطلق عليهم اسم "المناهضين للمدرسة"».[1]

شخصيّة نجيب ترمز لتلك الطّائفة من المجتمع التي بالرّغم من سلبيّاتها إلّا أن لها دور فعّال في المجتمع، فهي لا تتردّد أبدا في مد يد العون، كما أنّها تملك الخبرة الكافية التي تمكّنها من التّعامل مع العالم الخارجي بتفوق. فعلى الرّغم من أنّ "نجيب" لم يكن متعلّما مثل أخيه الأصغر إلّا أنّه أسهم في دفع أمّه نحو التّغيير( الحضارة-العالم الخارجي)، فهو الذي جاب بها أرجاء الوطن، يعرف كل شبر فيه، وهو من حفّزها على الدّراسة وزوّدها بالسّلاح. فكان الحارس الشّخصي( يحميها من كل خطر) واليد اليمنى لها.

-« كان نجيب لا يزال هنا، على مسمعنا، مستعدّا دائما ليلطّف الأجواء بضحكاته المعتادة، أو من أجل إخبارنا بقدوم الأب».[2]

فهو المساعد الأول لأمه والذي يمثّل تلك الجماعة في البلد التي تسعى جاهدة لتقديم كل ما بوسعها من أجل الوطن والحريّة، وفق إمكاناتها وكفاءاتها الخاصّة.

فنجيب هو الشّخصيّة التي قامت برواية الجزء الثّاني من الرّواية "كيف أصبحت" وهذا بعد سفر الابن الأصغر، والذي بدأ في استرجاع أحداث ماضيه من خلال كتابته للرّسالة الموجهة للأخ الأصغر.

[1]- المصدر السابق، ص 89.
[2]- المصدر نفسه، ص88.

-« سأحكي لك، اذهبي، أمي دعيني أكتب لأخي. اذهبي لتستريحي».[1]

فاسترجع كل أحداث الماضي بشخصيّاتها وأماكنها وأوقاتها وهذا بعد سفر أخيه بدءا برفض والدته للخروج والكلام، مرورا بإقرارها الخروج والمضي قدما في مسيرتا مع الحياة (المظاهرات-الأعمال السّياسيّة والثّقافيّة التي قامت بها-مقابلة ديغول، حوارها مع الجندي ووصولا إلى لحظة رحيلها-سفرها إلى الخارج ).

-« أمي: أطرح عليك سؤالا: من سيذهب إلى الحرب؟

العسكري (الجبهة مقطّبة بفعل المجهود): الجيش.

أمي: من هذا، الجيش؟

العسكري( أصبحت جبهته أملس من الصّابون): الجيش.

أمي: لكن من، في الجيش؟ أم العسكري: الرّفاق، أنا، الفوج، الضّباط، الجميع، ماذا؟

أمي (بصوت عذب): هو ذا !

العسكري (مزهوّا بنفسه):هو ذا !

أمي (بخشونة): ومن سيذهب في الخطوط الأماميّة؟ الضّباط؟

العسكري (جبهته بمقياس ثلاثة سنتيمترات الآن): لا، الجنود، من لا يحمل رتب.

أمي: هو ذا !

العسكري: من؟

أمي: ديجول.

[1]- المصدر السابق، ص 101.

العسكري (بابتسامة عريضة ساخرة أمام الكثير من عدم الفهم): إنّه جنرال، إنّه جنرال، إنّه لن يذهب إلى الجبهة».[1]

كما استحضر نجيب شخصيّة " ديغول" تلك الشّخصيّة التّاريخيّة المعروفة وهذا ليربط القارئ بالحقبة الزّمنيّة التي جرت فيها أحداث القصة، وكذلك للاستشهاد به على قوة أمه وشجاعته. حيث عقد مقارنة بينهما وأوجد نقاط تشابه بينهما:

-« إنّه مثلي أنا، لأنّه يريد انتصار الحريّة والفخر لشعبه».[2]

وهذا ليوصل إلى القارئ بأنّ والدته تفكّر بنفس طريقة تفكير" ديجول" لهما نفس الطّموح والرّغبات ونفس المواصفات، يتمتّعان بالقوّة والإرادة ذاتها. وهذا ليثبت قوّة وجرأة تلك الأم وما تقدر على إحداثه في المجتمع خصوصا والعالم عموما. ومقارنة الرّاوي" للأم" ب "ديغول" دليل ورمز على قوّة المرأة ومكانتها في المجتمع، فهو يريد إثبات قوّة وأهميّة المرأة في المجتمع التي تستطيع القيام بدورها مثل الرّجل على أنّ لها الحق في ذلك.

فنجيب يعتبر الشّخصيّة التي اختارها الكاتب لينقل على لسانها الأحداث التي جرت بعد سفر ( الابن الأصغر)، كونها الأقرب إلى الحدث ويمكنها رؤية الأشياء والأحداث عن قرب، فشكّل بذلك الرّابط الذي يجمع بين الكاتب والقارئ وبين النّص والقارئ.

### 3- شخصية الأم

هي الشّخصيّة الرّئيسيّة، التي تعتبر الشّخصيّة المحوريّة في العمل الأدبي والتي عادة ما تكون مرنة، قادرة على إحداث التّغيير، فالأم هي محور السّرد في هذه الرّواية، حيث طغى حضورها على الشّخصيات الأخرى. فظهرت في مواضع مختلفة وبمظاهر عديدة ومتباينة.

[1]- المصدر السّابق، ص 120.
[2]- المصدر نفسه، ص ن .

تتمتّع هذه الشّخصيّة بصفات كثيرة كما أشرنا إليها سابقا في الجدول. بالإضافة إلى صفات أخرى تمثّلت في حبّها للحكي والغناء وأعمال يدها.

-« لم يعلّمها أحد شيئا منذ مجيئها إلى العالم، في عمر ست سنوات كانت يتيمة، عملت خادمة، احتضنتها عائلة ثريّة. في سنّ الثّالثة عشرة تزوّجها رجل ثريّ لم تره قبل زفافها كان في عمر أبيها. إنّه أبي».[1]

فهي بهذه الأوصاف كلها تمثّل صورة المرأة العربيّة بصفة عامة والمغربيّة بصفة خاصة، التي لطالما خضعت للتّقاليد وسلطة الزّوج. إلّا أنّها في قرارة نفسها تبحث دائما عن نفسها وكيانها.

-« كانت حياتها عبارة عن لغز. حياتها الدّاخليّة التي تحاول أن تكفيها مع الحياة الاجتماعيّة المطلوبة».[2]

-«وراء ذلك الأفق الذي كان يسمى الطفولة، هناك انغمست فيه، وهي امرأة في عمر الألعاب و الدّمى، دمية، خنقت بواسطة القانون ومن أجل الواجب».[3]

وهذه هي حقيقة المرأة العربيّة-المغربيّة-التي لطالما أسرت وخنقت بحكم الأعراف والقانون، وبحكم أنّها أنثى لا تملك حقوق الرّجل، ولا تتساوى معه في شيء. كما أنّها لا تتوقّف عند هذا الحد من الصّور والأوصاف، بل نجدها تمثّل عدّة رموز منها: رمز السّاعيّة لنيل حريتها باختيارها، والمجابهة للمستعمر، فهي تمثّل الرّغبة في تحرّر شامل عانت منه المرأة والوطن، والتي لا تتحقّق إلّا بالتّغيير والثّورة على مبادئ معيّنة كانت سببا في قهرها وبؤسها.

[1]- المصدر السابق، ص 24.
[2]- المصدر نفسه، ص 43.
[3]- المصدر نفسه، ص 66.

فهذه الشّخصيّة تمثّل دور المرأة والزّوجة والأم الحريصة على بيتها وعائلتها والمحترمة لزوجها هذا من جهة. وتمثّل دور المرأة الباحثة عن الحقيقة المدافعة عن حريتها وحرية وطنها، الرّافضة للمستعمر والتّقاليد، السّاعية للحرية والتحضّر من جهة أخرى.

وشخصية "الأم" بدورها تقوم على استحضار واستدعاء ذكريات الماضي حيث استذكرت:

- **شخصية "ديغول" في قولها:**

-« هل رأيت الجنرال ديغول؟ هل صحيح أنه يبلغ طولي نفسه مع قبّعته؟»[1]

والتي تهدف من خلالها إلى إبلاغ ابنها الأصغر عن آخر المستجدّات والتّطورات الحاصلة معها، حيث ربطت بين رحيله والأعمال التي قامت بها من خلال الرّسالة التي كتبتها له والتي تعتبر تمهيدا لحكاية أحداث الجزء الثّاني للرّواية.

- **النّبي صلى الله عليه و سلم**

حيث استشهدت به للدّلالة على زمن ماضي كان يتحلّى فيه الإنسان بالأخلاق والقيم والبساطة والذي لم يعد موجودا، ويستحيل أن يوجد من جديد، فالزّمن تغيّر وأصبح زمن القوّة والتّطور والحضارة لا زمن البساطة والتّقاليد، فلا مجال للمقارنة بينهما.

-« صدّقوني، هنا أمام البحر، لكم مأوى، جزءا لماضيكم الفظ و السّاذج. و ربّما عندما يذهبون للبحث عن أصلهم، رجال القرون المقبلة سينبشون قبركم و يصيحون:« إلهي !كم كانت

[1]- المصدر السابق، ص101.

الحياة بسيطة في هذا الزّمن»، ربّما يقولون شيئا من هذا القبيل، لا أعرف زمن الأنبياء قد ولّى، وسيّدنا محمد آخر الأنبياء، إلى اللّقاء، أصدقائي !إلى اللقاء في العالم الآخر !»[1]

**•قصّة "سيّدنا سليمان"**

فسليمان شخصيّة خياليّة أسطوريّة موجودة في القصّة، والتي أدرجتها الأم في خطابها لتتأكد وتطمئن بأن ابنة عمّها لم تنس الماضي ومازالت تتذكّره وتحتفظ به في ذاكرتها. والتي تبين للقارئ خلفيّة الأم ومدى ارتباطها بالحكايات الخرافيّة والتي استخدمتها الأم لتنتقل بالحديث من الحاضر إلى الماضي–الذكريات–من حديث ابنة العم عن أولادها إلى الماضي البعيد المليء بذكريات الطّفولة. وهنا تكون قد ربطت بين الماضي والحاضر.

–« لم أكن أعرف يا مريم..أحقا ما تقولين !أولادي أنا يتعلّمون لغة المسخ..لهم فم فرنسي، أنف إغريقي وأعين إنجليزيّة..لم أعد أعرفهم وأنا أمهم..قولي يا ابنة عمي هل تتذكّرين قصّة سيدنا سليمان..تذكّري..الجني الذي كان يحاور صوت الرعد؟»[2]

**•ذكريات الماضي**

حيث أحضرت كل الأشياء التي تربطها بالماضي، والتي ذكرها الرّاوي في بداية القصّة(المرآة الحديديّة–قوارير العطر–أحمر الشّفاه...) والتي ترمز لطبيعة ونمط حياتها الأولى، فاستذكرتها "الأم" في موضع آخر من القصّة وفي إطار حدث جديد تمثّل في دفنها لكل ذكريات الماضي، والتي تدل على حالة التّغير للأم.

عرفت "الأم" نقطة انعطاف كبيرة جعلتها تتحوّل إلى شخص مدافع عن الحرية وحقوق المرأة ومنشغل بقضايا الوطن والشّعوب والتي تتجلّى في مشاهد الاعتراف التي قامت بها الأم

[1]-المصدر السابق، ص 140.
[2]-المصدر نفسه، ص 54.

– « علي أن أهتم بالنّاس، إنّها حياتي. لا أقدر، لا أقدر أن أكون سعيدة عندما يكون الآخرون تعساء. ماذا سينفعني ما تعلّمته من علوم؟ أفكاري، مكتسباتي، عواطفي، يجب أن أترجمها إلى أفعال. من أجلي ومن أجل الآخرين».[1]

وهذا الاعتراف يمثّل نظرة "الأم" إلى الأمور فهي لا ترى فائدة في الإنسان المتعلّم، المثقّف والذي يملك قدرات وإمكانات ولكنه لا يستعملها ولا يستغلها في الأفعال الخيريّة سواء أكان من أجله أو من أجل الآخرين؛ أي فيما يخدم البشريّة، حيث يصبح في مركب واحد مع الإنسان الجاهل ولا يختلف عنه أبدا. وهذا ما يترجم رغبتها في مساعدة الآخرين أي أن تكون فاعلة في المجتمع.

–«الشيء الذي أريد، الذي أثابر من أجله، هو أن ألحق به. نعم، ألتحق به...أن أفعل شيئًا لحياتي».[2]

وهنا اعترفت "الأم" برغبتها أي طموحها –الشيء الذي تسعى من أجل تحقيقه– المتمثّل في مشروع المستقبل لها وهو رغبتها في الالتحاق بالابن الأصغر ورؤية العالم الغربي ومعرفته عن قرب.

وهذا ما يثبت إصرارها على المضي قدما في رحلتها الحربيّة ضد الجهل والتّقاليد. إذ ألحت على تحقيق أهدافها في التّحرر والتّحضّر والتي نجحت في آخر المطاف في تحقيق رغبتها فجالت العالم شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

[1]- المصدر السابق، ص 166.
2- المصدر نفسه، ص 153.

**4-شخصيّة "الأب"**

وهو الأب والزّوج والعامل دائم الانشغال بتنمية أعماله( المزرعة-العقار البنك...) والذي يتميّز بالقوة والنّفوذ.

-« كان الرّجل القوي الذّكاء الذي تزوّجها وهي صغيرة، ذو الفعاليّة الذي كان يستطيع أن يحول رقعة الأرض العارية إلى عملة صعبة وإلى حضارة معجونة بالنّفط المتدفّق، الرّجل المحافظ على البرّ بزمانه وبالأخلاق والشّرف كان يطبّق القوانين وبطريقة شعريّة، حبسها في المنزل منذ زفافها».[1]

فالأب متمسّك بالتّقاليد والقيم الاجتماعيّة إلى درجة أنه حبس زوجته في المنزل وعزلها على العالم الخارجي منذ دخولها إليه، فهو حريص على تطبيق القوانين بطريقة شرعيّة، وصارم في تعامله مع الأمور و الأشياء، وإلى جانب هذا كله يتحلّى بالطّيب والكرم واللّطافة. فهو صورة للرّجل العربي-المغربي خصوصا- في تلك الفترة، ذلك الإنسان القوي، الجاد والصّارم المتشبّث بالتّقاليد والقيم الدّينية التي نشأ وكبر عليها.

-« ابحث في الإنجيل، الوصايا القديمة، الوصايا الحديثة. خذ التلموذ، القرآن، الزّهير، كتاب الهندوس. في أي مكان، في كل الدّيانات لن تجد إلّا الرّجال، لن تجد«نبيّة»، ولا واحدة أرسلها الله. عشنا على هذا الأمر منذ قرون ولم نشتك، نحن الرّجال».[2]

فوظيفة "الأب" هنا هي حماية العائلة وتربيتها تربية صحيحة وفقا لعاداته وتقاليده

[1]- المصدر السابق، ص 153.
[2]- المصدر نفسه، ص 169.

ومعتقداته، فهو يعارض كل ما من شأنه أن يخل بهذا النّظام. والذي كان معارضا لرغبة زوجته وعائقا يقف في طريقها، كونه لا يقر بدور المرأة في الحياة الاجتماعيّة. فهي مجرّد امرأة –مخلوق ضعيف– وستظلّ هكذا إلى آخر حياتها.

والذي تغيّر في آخر المطاف، حينما اكتشف الحقيقة التي كانت ماثلة أمامه ولم يكتشفها.

–«ليس عليّ أن أتصالح مع الوضع كما تقول. عيني كانت مفتوحة، لكني اكتشفت أن أمك، وحدها. الوعي لعالم غير واع».[1]

فأصبح مساعدا لها ومحفزا لها على التّقدم والمضي قدما، فغدى الممول لكل مشاريعها، فدعمها ماديّا ومعنويّا، بعد ندمه الشّديد على حبسه لزوجته.

–« أنت حزين، أبى؟

أكثر ممّا تتصوّر، أني ساخط لأنني لم أفهم منذ البداية».[2]

–« حاولت أن أفهمها. هي. وهي التي أرتني الطّريق. عندما تدخل الآن إلى الدّار انهض حينها، ولا أرى أمامي فقط امرأة جديدة، لكن، عبرها، أرى رجلا جديدا، مجتمعا جديدا، عالما حديثا».[4]

يُعتبر الأب شخصيّة من الشخصيّات الاستذكاريّة، إذ أنه قام بالاستشهاد ببعض الكتب السماويّة و الدّيانات و هذا يتّضح من خلال القول السّابق" ابحث في الإنجيل.....الرجال".

فالأب قام بالاستشهاد بهذه الكتب ليبرّر موقفه ضدّ المرأة و أنّه ليس المسؤول والملام الوحيد عن حالها، فحتى الدّيانات لم ترسل ولا نبيّة وإنما جميعهم رجال، وهذا هو الحال منذ

[1]- المصدر السابق، ص 170.
[2]- المصدر نفسه، ص 171.
3-المصدر نفسه، ص 172.

الأزل، إضافة إلى تأكيده لطريقة التّفكير العربيّة عبر الزّمن، فكيف يمكن لكل هذا أن يتغير في رمشة عين وببساطة.

كما استرجع "الأب" أحداث الماضي خلال مناقشته مع زوجته التي بدت له بوجه آخر لم يره من قبل، فلجأ لتذكيرها بحالتها عندما تزوّج بها وحالتها بعد الزّواج. وهذا كله من أجل أن يقول لها وبعبارة أخرى لا تنسي نفسك وماضيك.وأنّها مجرد امرأة ضعيفة لا يمكنها فعل أي شيءويستحيل أن تتغيّر ببساطة.

وما لهذا الاسترجاع إلّا سبب واحد وهو ربط حالة الأم الأولى بما ألت إليه في الأخير.

-«نساء جيلك لا يمكنهن قول أكثر ما قلت الآن. عندما تزوّجتك كان عمرك ثلاث عشرة سنة. يتيمة منذ زمن. من دون عائلة. لم تكوني تعرفين البيضة، ولا كيفية كسرها، ولا طبخها، ومن يبيضها، الهرة، البقرة، الفيل. ربيتك، لم يكن لديك ماض، جعلت منك امرأة محترمة، سهلت لك الحياة. ثم حللت جميع مشاكلك».[1]

وحضور مثل هذه العلامات الاستذكاريّة ذات الوظيفة التّنظيميّة التّرابطيّة يمثّل جسر التّواصل بين النّص والقارئ، هذا الأخير الذي يتمكن عبرها من شحن ذاكرته حتى يصبح بإمكانه نسج كل العلاقات القائمة بين الكاتب (الراوي) والأم وبينها وبين مختلف الشّخصيّات الأخرى وذلك بانتقاله عبر أجزاء الرّواية " كيف كانت" و" كيف أصبحت" والتي من خلالها اتضح الفرق بين العالمين العربي ( المغربي) والغربي، فبيّنت بدقّة ووضوح صورة العالم العربي التّقليدي والغربي الذي عرف كيف يستخدم التّقاليد ولم يجعلها حاكما عليه وبالتّالي وصلت إلى درجة متطوّرة من التّحضّر والرّقي في مختلف المجالات.

[1]- المصدر السّابق، ص 127-128.

كما أنّها تعكس إيديولوجية الكاتب وثقافته ونمط تفكيره. الذي يبدوا بأنه رافض للعادات والتّقاليد البالية التي لا تقدم للبشريّة شيئا سوى أنّها تخنقها في أسر الجهل والعبوديّة.

**المبحث الثالث: النّموذج العاملي في رواية " الحضارة أمي"**

**1- المستوى السطحي**

**أ- بنية العوامل**

تقوم هذه البنية على ما أطلق عليه غريماس تسمية " النّموذج العاملي" الذي يتمثّل في بنية العلاقات التي تجمع بين " العوامل" (actants).« إن السّرد، تبعا لغر يماس كل دال لأنه يمكن استيعابه طبقا لهذه البنية. إنّ النّموذج العالمي يضم ستّة عوامل، وغالبا ما يتمّ التّمثيل لهذا النّموذج بالخطاطة التّالي:

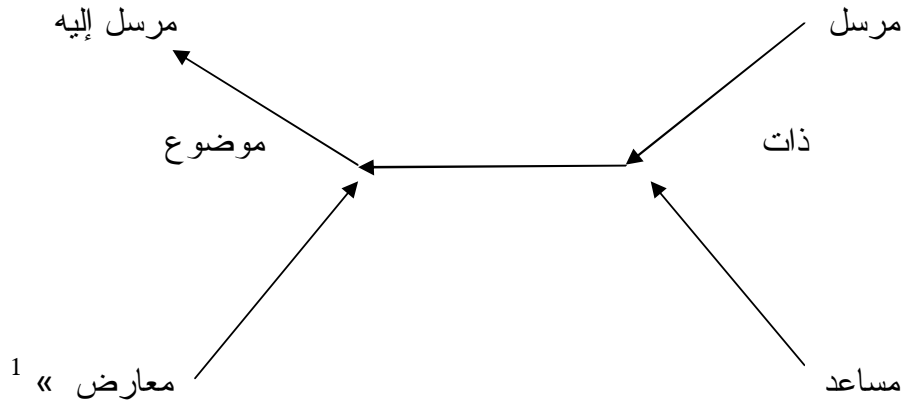


[1] »

وينتظم هذا النّموذج في ثلاثة علاقات تضم مختلف الفاعلين.

**1- علاقة الرّغبة: (بين الذّات والموضوع)**

تربط هذه العلاقة بين الذّات والموضوع (objet/sujet )؛ أي بين من يرغب وما هو مرغوب فيه، حيث توجد حالتين للذّات بالنّسبة للموضوع،« فهي إمّا أن تكون منفصلة أو متّصلة

[1]- جيرالد برنس، قاموس السّرديات، تر: السيد إمام، ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة2003م. ص 9-10.(بتصرف).

بالموضوع، وعلى هذا يكون المسار السّردي خاضع للتّحوّل، فهو إمّا أن يكون سائرا في اتّجاه الاتّصال أو العكس، وهذا حسب نوعية الرّغبة».[1]

وتتمثّل هذه العلاقات في الرّواية من خلال الذّات " الأم" التي تعتبرها رغبة داخليّة في التّغير، والتي تسعى جاهدة لاكتشاف ذاتها وإثبات كيانها، فهي تأمل اكتشاف العالم الآخر وبلوغ الحضارة ( الموضوع) فهي منفصلة عن موضوع القيمة والتي تتحول في النّهاية وتصبح متصلة بالموضوع:

حالة انفصال تحول حالة اتّصال

( التقاليد) ( الحضارة)

والتي نمثل لها كالتالي:

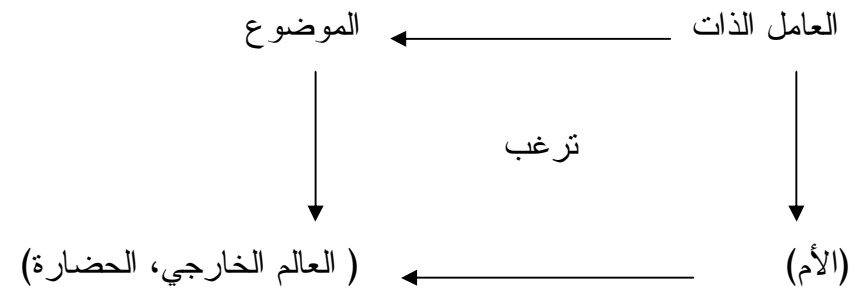


**2- علاقة الاتّصال:(بين المرسل والمرسل اليه)**

إذا كانت علاقة الرّغبة تربط بين الذّات والموضوع، فإن علاقة الاتّصال تربط بين المرسل والمرسل إليه، « والتي تستدعي وجود وراء كل رغبة دافع أو محرّك يجعل الذّات ترغب في الموضوع والذي يسمّيه "غريماس" مرسلا(destinataire).وعلاقة التّواصل بين

[1]- ينظر: كمال أونيس، النّموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفّي للحبيب السّائح، رسالة ماجيستير، تخصص نقد أدبي، قسم الآداب واللغة العربيّة، كليّة الآداب واللغات ، جامعة محمّد خيضر بسكرة 2013/2012. ص 44.

المرسل والمرسل إليه تمر بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة أي علاقة الذّات بالموضوع».[1] التي نمثّل لها كالتّالي:

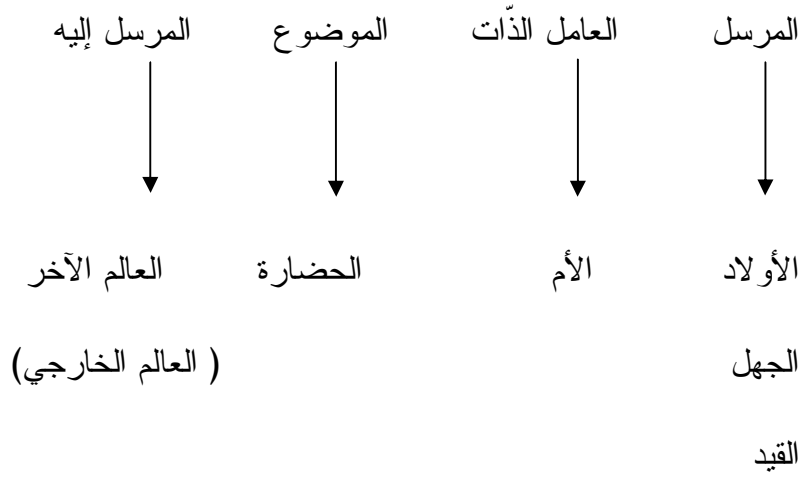


حيث تتمثّل علاقة الاتّصال بين المرسل (الابنين) والمرسل إليه ("العالم الآخر "الخارجي") إذ قام الابنين"نجيب " والأخ الأصغر بتحفيز "الأم "وتحريك رغبتها من أجل التّغير والتّحرر، إضافة إلى عوامل أخرى تمثّلت في الأسر والجهل الذين عانت منهما اللذين بعثا في نفسها الرّغبة في التّمرد على التّقاليد والقيم الاجتماعيّة والزّوج، بغية اتّصالها بالعالم الآخر وبالأخص الحضارة.

**3- علاقة الصّراع:(بين المساعد والمعارض)**

تتجسّد هذه العلاقة بحضور عاملين اثنين: «أحدهما يسمّيه غريماس المساعد (Adjuvant)، والآخر المعارض(Opposant). وينتج عن هذه العلاقة إمّا منع حصول علاقة الرّغبة والتّواصل أو العمل على تحقيقها».[2]

[1]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 34.

[2]- كمال أونيس، النموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفي، ص46.

تظهر هذه العلاقة في الرّواية بين العامل المساعد(الابنين) وهما العنصر أو العامل المرسل الذي يعمل على تحريك رغبة الأم وإرسالها نحو الموضوع (القيمة) بحيث يبذلان كل مابوسعهما لتحقيق ذلك. والعامل المعاكس ( الأب والتّقاليد) والتي شكلت حاجزا بين الذّات "الأم" والموضوع المرغوب فيه ( الحضارة).

وانتهى الصّراع بانتصار العنصر المساعد على العنصر المعاكس كما تحول الفاعل المعاكس المتمثّل في " الأب" في النّهاية إلى عنصر مساعد. وهكذا انتصر البرنامج المساعد على البرنامج المعيق سيصبح المخطط النهائي كالتالي:

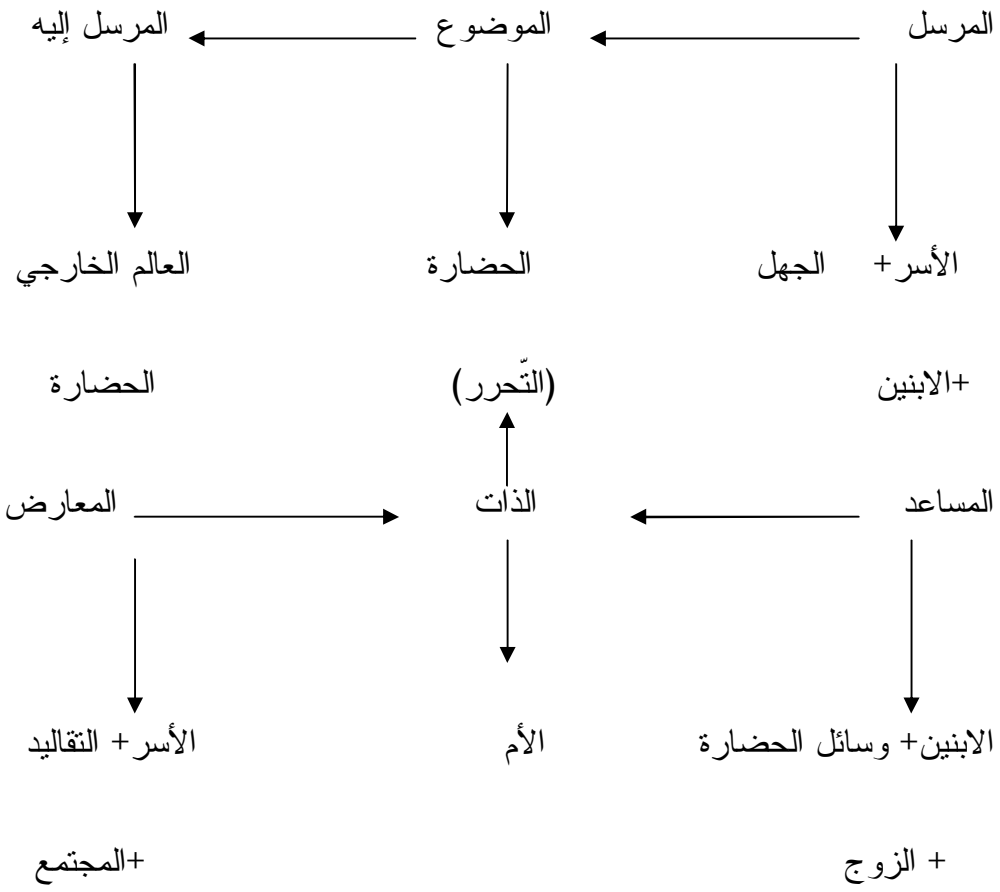

ب-**حركية البناء العاملي**

**1- التّحريك**

تشكل الرّغبة رهانا حقيقيّا بالنّسبة للابنين اللّذان يهدفان من خلال هذا الفعل إلى إخراج الأم من قوقعتها و دفعها نحو العالم الخارجي-التّحرر- حيث أنها ظلت حبيسة البيت منذ زواجها بالوالد البرجوازي المتمسّك بالتّقاليد، فعاشت جل حياتها معزولة عن المحيط الخارجي لها. لا تعرف سوى أمور البيت ولكن مع كبر ولديها أخذت تتغيّر، لأنهما ايقضا فيها تلك الرّغبة التي لطالما حبستها في قلبها، هذا إضافة إلى وسائل الحضارة التي دخلت منزلها من الكهرباء،الراديو، الهاتف، آلة الطّبخ، المكواة....الخ والتي ساعدتها على التّواصل والتّعرّف على العالم الآخر وحضارته.

فالابن الأصغر سعى جاهدا إلى تغيير نظرة النّاس إلى العالم، وبهذا عمل على إقناع أمه للخروج من قوقعتها والتّعرّف على العالم الآخر، فنجده متحالف مع أخيه الأكبر "نجيب" في سبيل تحقيق ذلك ، حيث اغتنما فرصة غياب الوالد و قاما بإخراجها من المنزل، وجابوا بها أرجاء البلاد. وبهذا تكون قد قامت بأول خطوة نحو التّغيير.كما خرقت لأول مرة تلك القوة التي سيطرت عليها لأكثر من عشرين سنة. ومن هنا بدأت مرحلة انفصالها عن عالمها الدّاخلي، واتّصالها بالعالم الآخر، حيث تعرّفت على عالم جديد، لم يسبق لها معرفته قبلا. ومن هنا يظهر مساران للسرد:

المسار1: تمثل من خلال صورة تلك المرأة الأم المحبة لأبنائها والزّوجة المطيعة والمخلصة لزوجها. الخاضعة لسلطة المجتمع وتقاليده بصبر.

المسار2: تمثل في صورة المرأة الجديدة التي رأت العالم الخارجي المرأة الفاعلة في المجتمع، والتي لها دور لا يختلف عن دور الرّجل في بنائه.

وعلى الصّعيد السّردي عموما فإنّ الابن الأصغر وأخيه نجيب هما الفاعلان الأساسيان في برنامج التّغيير. من خلال ممارستهما لسلطتهما المعرفيّة على الأم، لحملها على القيام بدور هام وهو التّحرر من كل القيود والتّخلّص من الجهل ومواكبة الحضارة بالتّعلّم والانفتاح على الخارج وإثبات وجودها وفرض رأيها. كأي إنسان آخرله وجود وبالتّالي له الحق في إثبات حقّها في الحياة بحريّة وسلام.

**2- المواجهة**

حيث اختار الابنان المواجهة منذ البداية- مواجهة التّقاليد والثّورة عليها- كونهما فاعلان في برنامج التّغيير، وهذا حينما أدركا الشّرخ الموجود بين الحضارة والأم. ففي هذه اللحظة ملكتهما الرّغبة في التّغيير، وبالأخص الابن الأصغر، حيث أضحت المواجهة المنفذ الوحيد أمامه لتغيير أفكار مجتمعه وتغييره. وذلك من خلال " الأم" التي تملك قدرة و كفاءة تمكّنها من تحقيق الهدف. وهنا يتجلّى صراع بين قوّتين.

- القوّة التي يمثّلها الأب ببورجوازيته ومكانته السّياسيّة، والتّقاليد المتحكّمة فيه، إضافة إلى المجتمع الجاهل الذي نشأ على تقاليد وعادات وأفكار بالية يصعب تغييرها.

- القوة التي يمثّلها الابنين وبالأخص الابن الأصغر المناهض للتّقاليد والذي ينادي للمعاصرة والتّحضر (الحداثة)، وانطلاقا من عمله ومعرفته. فالابنين يملكان الموضوع (القيمة) ويسعيان من موقعهما كمحرّك لجعل "الأم" تتوصل إليه. والذي أدى إلى خوض الأم لهذا الصّراع مع نفسها وزوجها ومجتمعها وتقاليده، فتمكّنت من كسر كل هذه الحواجز بقوّة وبكفاءة، فغدت امرأة أخرى غير الأولى واعية وعارفة لما يحيط بها وما يحدث حولها.

**2- المستوى العميق**

بعدما تعرّفنا على المستوى السّطحي ننتقل الآن إلى دراسة المستوى العميق الذي يمثل البنية الدّلاليّة الأصليّة للرّواية.فالمعنى في السّيميائيّات السّردية لا يستخلص من سطح النّص وإنّما يجب استجلاؤه من عمق النص« فمن المقولات الأساسية للعلامية أن الدلالة لا تستنبط من سطح النص فحسب وإنّما يجب استجلاؤها انطلاقا من نظرة توليديّة للمعنى».[1]

فالمعنى لا يتّضح إلّا من خلال عمليّات الاختلاف والتّقابل التي تقوم بين وحدات النّص الدّلاليّة« فكما لا يستقيم مفهوم المجهور إلّا بمقابلته بالمهموس، كذلك يدرك معنى الطّول بمقابلته بالقصر....تعدّ هذه الثّنائيّات البنية الأساسيّة للدّلالة على أن يحتوي التّقابل بين هذين المعنيين عنصرا مشتركا بينهما نطلق عليه المحور الدّلالي».[2]

ففردنان دي سوسير ويلمسليف يقران أيضا ب« أن المعنى لا يستخلص إلّا عبر الاختلاف وبالاختلاف وحده».[3] والذي يمثله غريماس من خلال المربّع السّيميائي.

**2-1- المربّع" السّيميائي" (le carré sémiotique)**

يقوم هذا المربّع السّيميائي على تشخيص علاقات التّضاد والتّناقض والاستلزام، ومن خلال الاختلاف والتّناقض والتّضاد يولد المعنى في أشكال تصويريّة مختلفة ويتمظهر على مستوى السّطح بصيغ تعبيريّة مختلفة ومتنوّعة.

ففي هذه الرّواية وبناء على علاقة الامتلاك والفقدان لموضوع القيمة الجاري البحث عنها من طرف الفاعل الأساسي "الأم" يتشكّل المربع السّيميائي من خلال استخدام مجموعة من

[1]- أحمد أمين بوضياف، إستراتيجية البناء العاملي وديناميكيّة في الخطاب الرّوائي،مدينة الرّياح لموسى ولد بنو، رسالة ماجستير تخصص أدب مغاربي حديث، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر2007/2006م .ص 75.

[2]- محمّد النّاصر العجيمي، في الخطاب السردي نظريّة غريماس دراسات أدبية ونقديّة، المغاربيّة لطبعة والنّشر، عالم الكتب 2006. ص89.

[3]- جميل حمداوي، اتجاهات السيميوطيقا، ص 13.

المفاهيم، التي تتمثّل في مفاهيم الاتّصال والانفصال الضّروريّة للوصول للهدف. وبهذا نكون إزاء المربعين السّيميائيين التّاليين:

انفصال اتصال

التقاليد الحضارة

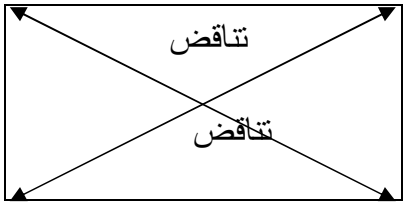


اللاحضارة اللاتقاليد

الجهل العلم

الثبات التغير

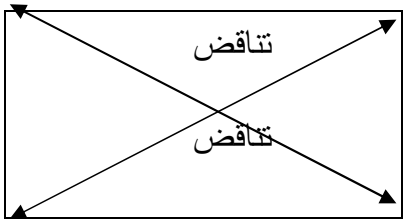


اللاّتغير اللابثات

ومن خلال هذين المربّعين تتّضح الثّنائيات الضديّة في هذه الرّواية والتي تتمثّل في (التّقاليد/ الحضارة)، (الثّبات/ التّغير)، (الجهل/العلم) بالإضافة إلى وجود ثنائيات أخرى متضمّنة في الرّواية. فلتغير الأم يجب عليها الخروج من المنزل الذي حبست فيه ومنعت من الخروج منه وهنا تقع الأم(الزّوجة) بين خيارين إمّا أنها تبقى خاضعة ومطيعة للزّوج وإمّا أنّها تخرق هذا

المنع وتتمرّد على الزّوج فتخرج وبالتّالي تتغيّر.وهنا تظهر ثنائيات أخرى متمثلة في (الخروج/ المكوث)، (الخضوع/ التّمرد)، (الحريّة/ العبودية).

إلّا أن الثّنائية الرّئيسيّة هي بين (التّقاليد والحضارة) فهذا الصّراع الذي تخوضه المرأة ما هو، إلّا صراع التّقاليد مع الحضارة والذي يرتكز على ثنائيّة العلم والجهل فإن نفي الطّرف الأول (الجهل) هو (اللّاجهل) وهي النّتيجة التي جاء بها العلم. التّحول الذي طرأ على حالة (الأم) والذي اكسبها موضوع القيمة والمتمثّلة في (الحضارة) والتي تنتهي بها في آخر المطاف إلى مغادرة البلد والسفر إلى الخارج بغية إحراز تقدم آخر ومعرفة العالم الغربي الذي لطالما حلمت بمعرفته.

# الفصل الثاني

## بنية الحدث ومسوغاته في رواية "الحضارة أمي "

**المبحث الأول:** الحدث ومسوغاته

1. مفهوم الحدث
2. مفهوم المسوغ

**المبحث الثاني:** بنية الحدث في رواية "الحضارة أمي"

1. الأحداث ومسوغاتها
2. بنية الحدث

**المبحث الأول: الحدث ومسوغاته**

**1-مفهوم الحدث**

يعتبر الحدث العنصر الرئيسي، أو بالأحرى العمود الفقري الذي يقوم عليه السرد، حيث تنتقى الأحداث بعناية فنية واحترافية من طرف الروائي أو السارد الذي يقوم بإضفاء لمسته الواقعية أو الخيالية على الأحداث فيضيف ويحذف إلى أن يشكل نصه الروائي.

ونظرا للأهمية الكبيرة التي يحظى بها هذا العنصر الروائي، فقد تناولته بالتعريف المعاجم، والكتب النقدية.

جاء في لسان العرب في مادة ( ح د ث ): «حدث: الحديث: نقيض القديم، والحدوث: نقيض القدمة، والحدوث: كون الشيء لم يكن. وأحدثه الله فحدث وحدث أمر في الواقع. وفي حديث المدنية: من أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا. الحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، واستحدثت خبرا أي وجدت خبرا جديدا».[1]

الحديث هو نقيض القديم، فالحدث هو مجموعة من الأقوال والأفعال التي تقوم بها الشخصيات ويكون هذا الحدث غير مألوف: أي أنه جديد.

أما السيميائيات السردية فترى أن الحدث يمكن إدراكه « كفعل فاعل – فرديا أو جماعيا – في حدود التعرف عليه وتأويله، من قبل الفاعل – المدرك، لا الفاعل سواء كان فاعلا ملاحظا، متمو ضعا في الخطاب، كشاهد، أو كان ردا: يمثل التعبير أو القص مثلا».[2]

أي أن الحدث لا يدرك إلا من خلال فعل الفاعل سواء كان فردا أو جماعة، والذي يؤوله فاعل مدرك من داخل الخطاب كشاهد أو خارجه كالمؤرخ.

---

1- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، مج 3، بيروت – لبنان 1999 م. ص 75.

2- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتب اللبناني، بيروت- لبنان 1985 م.ص 64.

ويلاحظ لوتمان أن الحدث داخل النص «هو تنقل الشخصية عبر حقول الحقل الدلالي فالحدث يوجد عندما يتضافر عنصران: الشخصية من جهة والحقل الدلالي من جهة ثانية فالفعل الصادر عن الشخصية يعد حدثا في حدود أنه يقوم بتحطيم حاجز ما، أو يقوم بخرق قانون ما، أو يقوم بالخروج عن مألوف ما».[1]

فهو لا يكون إلا عندما يتحد عنصر الشخصية مع عنصر الدلالة اللذان يشكلان الفعل الذي لا يعتبر حدثا إلا عندما يحدث شرخ ما في الحكاية، كخرق قانون أو الخروج عن المألوف.....الخ.

يخلص لوتمان إلى تعريف الحدث بقوله:« إن الحدث هو دائما لمحظور ما. إنه واقعة حدثت ولم يكن من الضروري أن تحدث. أما بالنسبة لشخص يتأمل مقولات القانون الجنائي، فإن الفعل الإجرامي سيشكل حدثا، وسيكون اجتياز الطريق بشكل فوضوي حدثا في نظر قانون السير».[2]

فالحدث يعبر عن واقعة ما حدثت عن طريق فعل خرق المحظور والذي يكون التعامل معه نسبيا بحسب ثقافة كل شخص، فمثلا ظاهرة الغش في الامتحان تشكل حدثا بالنسبة لقانون التربية والتعليم في حين لا يشكل حدثا في القانون الجنائي.

وعند العرب يختلف تعريف الحدث من ناقد إلى آخر، حيث استخدم الدكتور عبد المحسن طه بدر( الأحداث )«للدلالة على الأعمال التي يقوم بها الأشخاص من داخل الرواية ....ويفرق د. نبيل راغب بين الحادثة والحدث، فيرى أن الحادث هو ما يقع للشخصية، بينما الحدث هو ما يقع داخل الشخصية أو ما يصدر عنها من تصرفات يمكن أن تكون سلوكية أو

---

1- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية ( رواية " الشراع و العاصفة " لحنا مينة نموذجا )، ط1، دار مجدلاوي، عمان – الأردن 2003. ص 39.

2- المرجع نفسه، ص 41.

فكرية مجردة، ولعل أدق تعريف نقدي للحدث هو تعريف ( ميك بال ) إذ تقول معرفة الحدث " هو الانتقال من حال إلى حال[....] في غضون الرواية والقصة».[1]

وعلى الرغم من اختلاف هذه التعريفات إلا أنها اجتمعت في نقطة واحدة حيث ربطت الحدث بالشخصية في الأعمال السردية ارتباط العلة بالمعلول.

**2- مفهوم المسوغات**

المسوغات بمثابة المداخل التي تمهد لوقوع الأحداث، والتي تختلف وتتنوع بحسب طبيعة الحدث وموقعه في النص. كما أنها تلعب دورا أساسيا كونها تربط بين القارئ والنص عندما تهيؤه لاستقبال الحدث.

ذكر العرب مصطلح "المسوغ " في معاجمهم اللغوية حيث ورد في تاج العروس في مادة ( س و غ ):« ساغ الشراب يسوغ سوغا وسواغا بفتحهما وفي بعض النسج: الأخير بالضّم: سهل مدخله في الحلق ومنه قوله تعالى﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾*وكذا ساغ الطعام سوغا: إذا نزل في الحلق».[2]

وفي معجم الوسيط:«( ساغ ) – سيغا : طاب وهنؤ. و– الطعام والشراب في الحلق: سهل انحداره ومدخله فيه. و–الشيء: جاز وأبيح. فهو سائغ، سيّغ و – الطعام والشراب: ابتلعه واستمرأه واستطابه. ( أساغه ): جعله سائغا» ".[3]

---

1- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2012. ص 245 – 246.

2- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفي حجازي، ج 22، التراث العربي، الكويت 1972 ص 502.

3- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص 468.

*- سورة النحل، الاية 66 : ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَـٰمِ لَعِبۡرَةً ۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾

كلا التعريفين اتفقا حول هذا المصطلح على أنه الممهد لدخول الطعام إلى الحلق. فالمسوغ بمثابة الحافز، الدافع أو الباعث الذي يؤدي إلى وقوع الحدث.

**المبحث الثاني: بنية الحدث في رواية " الحضارة أمي "**

تسرد رواية " الحضارة أمي" مرحلتين مرت بهما الأم التي تمثل الشخصية الرئيسية في الرواية والتي عنونها الراوي "بكيف كانت " و" كيف أصبحت ".

وسوف نقوم في هذا الفصل باستخراج أهم الأحداث ومسوغاتها.

**المرحلة الأولى: " كيف كانت ".**

**الحدث الأول:** عودة الابن الأصغر إلى الوطن بعد طول غياب.

**مسوغاته:**

- ✓ شوق وحنين الابن الأصغر إلى وطنه وهو في بلاد الغربة.
- ✓ تمني الابن الأصغر العودة إلى الوطن.
- ✓ تمني الابن الأصغر الموت في أرض الوطن.
- ✓ الندم.

❖ **بناء الحدث**

ربط الكاتب القارئ مباشرة بحدث رجوع الابن الأصغر ( الراوي ) إلى وطنه "المغرب" بعد طول غياب، حيث بدأ السرد من نقطة النهاية ( العودة ).وهو حدث رئيسي في الحكاية، فلقد عمد الكاتب إلى تقديمه على المسوغات التي جعلها لاحقة للحدث، وهذا لأهمية هذا الأخير بالنسبة للمبنى الحكائي لروايته حيث تشكل عودة الراوي منطلقا للسرد، فالابن الأصغر(الراوي) حال عودته إلى وطنه يطلق العنان لمخيلته لتتحسس أحداث الماضي البعيد بكل أحداثه وتفاصيله.

-« ها هي الجنة التي كنت أعيش فيها فيما مضى، البحر والجبل، إنها السعادة بمعنى الكلمة، قبل العلوم وقبل الحضارة والوعي، كم تمنيت العودة إلى هنا، وأن تكون آخر أيام حياتي في هذا المكان».[1]

كان الراوي " الابن الأصغر " مشتاقا ومحنا لوطنه – جنته – ولكل ما يحويه ويسكنه: الأرض – الجبال – البحار –الأشجار....الخ، فكان ينتظر لحظة عودته بشغف كبير، لأنه يعلم السعادة الحقيقية لا تكون إلا في حضن الوطن وهي أكبر من الحضارة والوعي، هدف الطفولة وسبب الغربة.

- **الحدث الثاني:** طقوس جز الأم للخروف.

**مسوغاته:**

✓ رغبة الأم في الحصول على خروف.

✓ شراء نجيب للخروف.

❖ **بناء الحدث**

يمثل هذا الحدث أول الذكريات التي علقت في ذاكرة الراوي، وهو حدث رئيسي، مهد له الراوي بمسوغات جعلها سابقة للحدث. فلطالما حلمت الأم بخروف وديع تقوم بجزه أمام أعين ولديها، والذي تحقق من خلال الابن " نجيب " الذي اشترى خروفا من السوق وأحضره للمنزل نزولا عند رغبة والدته، هذه الأخيرة التي بادرت إلى القيام بطقوس جز الخروف، فأحضرت المقص الصيني، وربطت الخروف بالحبل إلى النافذة وبدأت عملية الجز بكل حزم وقوة، على الرغم من وجود آلة الصوف بالمنزل. الشيء الذي يدل على إصرار الأم على كل ما هو تقليدي

1- إدريس الشرابي، الحضارة أمي، ص 17 .

وموروث عن الأجداد، وإبعادها عن كل ما هو حديث وعصري، كل ما من شأنه أن يغير عليها نمط حياتها المعتادة.

- «المقص في حزامها، تدور حول الخروف وتأمر في نجيب.

- هيا احظر الحبل!

تمرر عقدة حول العنق، والأخرى في شباك النافذة، وفي تلك اللحظة تبدأ طقوس جز الخروف».[1]

وهكذا إلى نهاية النهار حيث انتهت عملية الجز وكومة الصوف اكتملت ووضعت في الصندوق وأكياس الجلد، على أن ما يهمها ليس الصوف وإنما عملية الجز ذاتها. إذ ما يهمها رؤية الابنين لطريقة جز الصوف التقليدية لا غير ما يثبت مدى انغماس الأم في التقاليد، فهي امرأة متشبثة بالعادات والتقاليد إلى درجة كبيرة.

- **الحدث الثالث:** غزل الصوف.

**مسوغاته:**

- ✓ شراء الخروف.
- ✓ عملية جز الخروف .
- ✓ حب الأم لكل ما تصنعه يدها.

❖ **بناء الحدث**

ورد هذا الحدث متسلسلا مع الأحداث السابقة إذ أنه نتيجة حتمية لعملية جز الخروف، هذا الأخير الذي يعتبر مسوغا أساسيا لعملية غزل الصوف، فحالما انتهت الأم من عملية الجز. قامت بغزل الصوف مستعينة بعدة وسائل منها: اللوحة التي كان يتعلم فيها الراوي القراءة

1- المصدر السابق، ص 21.

والكتابة، ونعله الذي استخدمته كمطرقة، والمسامير....الخ، مستخدمة في كل ذلك أصابعها بكل لطافة وصبر وكأنها تشتغل بمئات الأصابع، فكانت سعيدة بعملها تغني وتضحك كطفل بريء.

-« بعد الجز كان عليها أن تغزل الصوف قبل الحياكة .ألم أقل لكم إن أمي تحب ما تصنع بيديها ؟ تصنع كل أشياءها بنفسها ، لم أر إنسانا مثلها بتلك " الحداقة " تستخدم أي شيء».[1]

-« من أجل الغزل لا تستعمل أشياء إلا يديها وأصابعها بكل لطافة وصبر، وقد تحسبها تشتغل بمئات الأصابع الحاذقة».[2]

فالأم ومن خلال هذا الحدث تؤكد بدائيتها وقوتها التي تعكس صورة الإنسان التقليدي الجاد والقوي والذي لا يتراجع أبدا في قراراته.

- **الحدث الرابع:** خياطة الأم ثوب لابنها.

**مسوغاته:**

- ✓ عملية غزل الصوف.
- ✓ أخذ مقاسات الابن الأصغر.

❖ **بناء الحدث**

ورد هذا الحدث مرتبطا بالأحداث السابقة برابط زمني حيث تتالت أعمال الأم الواحدة تلوى الأخرى أين مهد الكاتب لهذا الحدث بعملية غزل الصوف وأخذ مقاسات الابن الأصغر ليوحي للقارئ بما سيحدث لاحقا، هذا إضافة إلى مسوغات أخرى تمثلت في حب الأم لأعمال يدها وكرهها لتلك الألبسة العصرية تقول:

1- المصدر السابق، ص 23.
2- المصدر نفسه، ص 23.

-« اخلع تلك الثياب التي تشبه ثياب الوثني».[1]

ولهذا قامت بخياطة الثوب بنفسها على الرغم من أنها لم تكن تجيد استخدام المقص.

-« كانت القطع تتناثر عند رجلي، رأيت الكم يأخذ شكله كأنه يقطينة " قرعة سلاوية "تنحني وفق مزاجها. كانت أمي تعلم أنها تخطئ، ولكن لا يجب إعطاؤها أي نصائح فهي تعرف ما تفعل».[2]

حيث كانت القطع عبارة عن أجزاء متناثرة لا علاقة لها بتفصيل الثوب، إضافة إلى أنها لا تجيد استخدام آلة الخياطة حيث قامت بخياطة شعرها مع الثوب.

- **الحدث الخامس:** اعتراف الأب بجمال زوجته.

**مسوغاته:**

- ✓ خياطة الأم للثوب.
- ✓ تسريحة شعر الأم الجديدة.

❖ **بناء الحدث**

- « في ذلك المساء تأمل أبي مليّا في ملامح عينيها.

- أعجبتني تسريحة شعرك الجديدة ، الآن ظهر جمال جبهتك وأصبحت أجمل. ردد تلك العبارات وهو ينثر سيجارته من الرماد».[3]

ورد هذا الحدث مرتبطا بحدث خياطة الأم للثوب، حيث خاطت شعرها الطويل مع الثوب مما أعطاها مظهرا جديدا، جعلها تبدو أجمل وأروع مما كانت عليه. والذي مثل

1- المصدر السابق، ص 20.
2- المصدر نفسه، ص 25.
3- المصدر نفسه، ص 27.

المرة الأولى التي يكون فيها الأب لينا ولطيفا مع عائلته وخصوصا زوجته التي احتفظت بالخيط الذي كان سببا في جعلها تبدو أحسن بهاء، فلمته حول زر من أزرار ثوبها.

-«كانت تفك شعرها، خصلة خصلة، وتقريبا شعرة شعرة، وتجر الخيط الذي جعلها تبدو أحسن بهاء في ليلة واحدة، ذلك الخيط ولم تكسره أبدا لمته حول زرار من أزرار ثوبها، وكانت تفعل ذلك بكل تأن».[1]

لقد وردت هذه الأحداث متسلسلة ومترابطة زمنيا وسببيا، فكل حدث يؤدي إلى الآخر وهكذا.

-**الحدث السادس:** دخول الراديو إلى البيت.

**مسوغاته:**

- ✓ الضجة الغريبة وغير المألوفة على مدخل البيت.
- ✓ اجتماع الجيران أمام البيت.
- ✓ فتح الباب على مصراعيه.
- ✓ دخول أشخاص غرباء إلى المنزل يحملون صندوقا على أكتافهم.

❖ **بناء الحدث**

مهد الكاتب لهذا الحدث بمسوغات سابقة له، مهدت لوقوعه والتي استهلها بالمشهد الوصفي الذي وصف من خلاله حالة الجو في ذلك اليوم.

1- المصدر السابق، ص 28.

- « في أحد أيام يوليو، كانت الحرارة مرتفعة، بحيث إذا وضعت بيضة طرية تحت أشعة الشمس، ستصبح خلال عشر دقائق قابلة للأكل، كأنها طبخت على النار ».[1]

هذا إضافة إلى المسوغات المذكورة آنفا ( الضجة ، اجتماع الجيران ، ...الخ ) والتي تدل على حدوث شيء جديد، غير مألوف مثير للتساؤل والاستغراب بين الناس (الجيران) والذي تمثل في الراديو ذلك الجهاز الجديد والغريب عنهم كونهم جهلاء تقليديين، لم يتعرفوا بعد على الحداثة ومنتجاتها، فهم ينتمون إلى العالم العربي – المغربي – المتخلف والجاهل الخاضع للاستعمار الفرنسي.

كما ورد هذا الحدث على مستوى متن الرواية منفصلا عن الأحداث السابقة حيث لم تربطه بها لا روابط زمنية ولا سببية منطقية.

شهد هذا اليوم عدة أحداث، بدءا بالازدحام الكبير للجيران عند الباب الذين أثاروا ضجة صاخبة أمام البيت لاندهاشهم واستغرابهم من العمال الذين يحملون صندوقا ضخما على أكتافهم وهم يلهثون ويتصببون عرقا من شدة التعب.مرورا بالضجة التي أحدثتها الأم التي ظنت العمال لصوصا فبدأت بالصراخ وهي مذعورة. ووصولا إلى الجلبة التي أحدثها العمال وهم يدخلون الصندوق إلى البيت، حيث بقيت الأم خائفة مرتعبة لا تستوعب ما يحدث حولها، ومحتارة من ذلك الصندوق الأسود الثقيل الذي لم تعرف كنهه.

- «ما هذا الشيء ؟
- بلوبين كتوه، أجبتها.
- ماذا ؟

1- المصدر السابق، ص 29.

- بلوبين كتوه.

ثم انفجرت غاضبة

- أريد في هذه الدار من يشرح لي ماذا يكون هذا الشيء».[1]

وهنا دخلت الأم في دوامة لم تصل فيها إلا لشيء واحد ووحيد وهو أن هذا الصندوق يسكنه ساحر وهو الذي يعطيه الحياة، وهذا راجع لخلفيتها المعرفية التقليدية التي تؤمن بالخرافات والأساطير وعالم السحر والأشباح.

- **الحدث السابع:** دخول الكهرباء إلى البيت.

**مسوغاته:**

- ✓ شراء الراديو
- ✓ حضور العمال إلى المنزل حاملين معهم خيوط كهربائية ومقابس وثريات.
- ✓ أعمال الحفر ودق المسامير وتثبيتها.

❖ **بناء الحدث**

يعتبر هذا الحدث رئيسيا في الحكي، فهو مسوغ أساسي للأحداث اللاحقة، كما أنه مرتبط بالحدث السابق " الراديو " ارتباطا وثيقا، كون هذا الأخير لا يشتغل إلا بوجود الكهرباء، فهذان الحدثان مرتبطان بروابط سببية وزمنية.

في هذا اليوم بالذات غدت الأم غاضبة وانتابها شعور بالغربة في بيتها كونها لم تشارك في الأعمال التي يقوم بها العمال، فهي لا تعرف ما يقومون به، كما تنتظر بلهفة وصول الساحر. وفي اللحظة التي صار فيها كل شيء جاهز ولم يتبقى سوى عملية تشغيل الكهرباء أصيبت بالخوف من المجهول، ومن فكرة ظهور الجني أمامها وعدم القدرة على التحكم فيه. إلا

1- المصدر السابق، ص 33.

أنها وبمجرد تشغيله أصبحت سعيدة ومسرورة لدرجة أنها بقيت تضغط على زر التشغيل من دون توقف وهي منبهرة ومتعجبة مما تراه.

أما تشغيل الراديو: فتهيأت له الأم جيدا، حيث قامت بتغيير ملابسها فارتدت قميصا جديدا مطرزا بخيوط من ذهب، وتعطرت بعطر الياسمين، ودخلت الصالون وكأنها تدخله لأول مرة، وجلست ترقب ما سيحدث بدهشة كبيرة. وهكذا أصبح الراديو (الساحر) جزءا من العائلة أو بالأحرى أحد أفرادها يقوم بتسلية الأم من الصباح إلى المساء، يؤدي كل الأدوار الغناء، الضحك، الصراخ ...الخ، مما جعلها تظن أنه كائن حقيقي، ولشدة سذاجتها وفطرتها كانت تقدم له الأكل والشراب، فهو ساحر يمكنه اختراق الأشياء والقيام بكل الأفعال فتفاعلت معه، وأصبح الإنسان الذي لطالما حلمت به وانتظرته فكان الأب والزوج والصديق الوفي.

- «أصبح " اكتوه " بالنسبة إليها الإنسان الذي طالما انتظرته، كان بمنزلة الأب الذي لم تتعرف عليه قط، والزوج الذي يحكي أشعار الحب، والصديق الذي ينصحها ويكلمها عن العالم الخارجي الذي تجهله».[1]

لقد مثل الراديو بالنسبة للأم الوسيط الذي ربطها بالعالم الخارجي، ومكنها من رؤيته ومعرفة أخباره ( أحداث الحرب العالمية الثانية )، وهكذا تمكنت من التواصل مع العالم الآخر الذي لم تعرفه قبل وصول الراديو.

- **الحدث الثامن:** شراء الأب لآلة الطبخ وتشغيلها من طرف الأم.

**مسوغاته:**

- ✓ دخول الكهرباء.
- ✓ المجمر الذي كانت تستخدمه الأم.

1- المصدر السابق، ص 40.

✓ مشاهد الوصف.

❖ **بناء الحدث**

بني هذا الحدث على مسوغات مهدت له، تمثلت من خلال الوصف الذي قدمه الراوي حول المجمر القديم الذي كانت تستخدمه الأم. والتي قامت بتغليفه بصدريتها التي لم تكن تحبها. أشعلت الأم المجمر في أحد الأيام، وبقي هكذا لعدة سنوات فكلما مرت بجانبه رمت قطعة من الفحم أو أكثر فيه ، فاستعملته لكل الاحتياجات للطبخ ولإشعال سجائر نجيب ولإحراق بقايا السجائر ومختلف الأشياء القديمة من دفاتر وفواتير وأوراق ....

وحياة الأم التي كانت عبارة عن لغز، تحاول تكييفها مع الحياة الاجتماعية والتي كانت رافضة لكل ما من شأنه أن يغير نظرتها أو إحساسها به، فكل ما هو غريب عنها وأجنبي ترفضه وتتهرب منه.

وهذا ما حدث مع آلة الطبخ التي كانت غريبة عليها، فشكلت لغزا لها طالما بعث الحيرة في نفسها. فكانت تغسلها وتنظفها وتلمعها دون استعمالها إلى غاية اللحظة التي قررت إشعالها والتي تزامنت مع مناسبة رأس السنة الميلادية. التي صادفت المرة الأولى التي يسمع فيها الراوي عن عيد رأس السنة الميلادية وعمره آنذاك اثني عشر سنة. حيث شرح له صديقه" فرانسوا" كل ما يتعلق بهذا العيد وخصوصا " بابا نويل "، فقام بإحضار لوازم العيد إلى البيت، واشترى حذاء جديدا ووضعه في آلة الطبخ .

سهر تلك الليلة وهو ينتظر هدية " بابا نويل " إلا أن انتظاره لم يدم طويلا حيث قررت الأم تشغيل آلة الطبخ، مما تسبب في نشوب حريق بالمطبخ أدى إلى احتراق الحذاء، وهكذا حصل الراوي " الابن الأصغر " على حذاء مفحم من " بابا نويل " بدل اللعبة.

وبهذا تحولت آلة الطبخ إلى خزانة تضع فيها الأم كل كنوزها التي تنوعت بين قوارير ماء الزهر، أحمر الشفاه وعروسة من القماش ....الخ.

ليتضح من هذا الحدث أن التقاليد مازالت المنافس العنيد للعصري والحديث، حيث استغنت الأم عن آلة الطبخ وعادت إلى المجمر القديم، فالفطرة غلبت العلم، والأم مازالت متشبثة بالتقاليد ورافضة لكل ما هو أجنبي وحديث.

- **الحدث التاسع:** محاولة شرح التيار الكهربائي للأم.

**مسوغاته:**

- ✓ دخول المكواة.
- ✓ استحضار نظرية " أوم " و" فرادي ".
- ✓ نسج حكاية الجنيات واللصوص.

❖ **بناء الحدث**

بنى الكاتب هذا الحدث على أول وسيلة من وسائل الحضارة والمتمثلة في المكواة التي تقوم عملية استخدامها على عنصر أساسي وهو الكهرباء، وهو مرتبط بالأحداث السابقة ومتسلسل معها.

تمكنت الأم من استخدام المكواة ببراعة كونها معتادة على الكّي ولكن بواسطة المكواة القديمة، لكنها وقفت حائرة من خيطها الطويل الذي لا يتناسب مع طبيعة البيوت المغربية، فقامت بعقده، في حين قام الابنان بتخبئة المقص تفاديا لحدوث كارثة.

وهنا وجد الابن نفسه ملزما على شرح التيار الكهربائي لأمه، فحاول أن يفسر لها نظرية " أوم " و" فرادي "، لكنه لم يجد أي جدوى من ذلك كونها ردت بتهكم عليه قائلة:

- «الآن بدأت تتلعثم، تقرأ كثيرا يا ولدي، كان الله في عون دماغك، أصبحت المعلومات مشوشة في رأسك».[1]

فلجأ الابن إلى طريقة أخرى تتوافق وطريقة تفكير أمه. المتعلقة بالقصص الخيالية والأسطورية، فنسج قصة الجنيات واللصوص، ومثل " أوم " بالجني الذي يحارب الشيطان، وبدأ يشرح لها طريقة عمل الكهرباء.

- «لكن الجني اسمه " أوم " وضع في جميع البيوت والمدن خيوطا كهربائية: واحد سالب والآخر موجب .

- ماذا تحكي يا ولد ؟

- أريد أن أقول: خيط للخير والآخر للشر، وعندما يلتقيان.

- غير ممكن الجني لا يمكن أن يفعل إلا الخير».[2]

فالأم لم تستوعب شيئا عن الكهرباء، و لا كيفية اشتعالها، فاضطر الابن إلى تأجيل الحديث عنها إلى أجل آخر.

- **الحدث العاشر:** تواصل الأم مع ابنة عمها " مريم ".

**مسوغاته:**

- ✓ دخول الهاتف إلى البيت.
- ✓ تجربة الهاتف.

1- المصدر السابق، ص 50.

2- المصدر نفسه، ص 51.

❖ **بناء الحدث**

تحدث الراوي عن حادثة إدخال الهاتف إلى البيت وذلك سنة 1940، والتي حاول من خلالها أن يكلم أمه عن جراهام بيل وعن الخلايا الهيرتسية، إلا أن أمه كعادتها كان لها منطقها الخاص الذي لا يغيره أي شيء. وهذا الأمر لا يختلف عن حادثة شرح الكهرباء لها. والتي جعلها الكاتب ممهدا لحدث لاحق وهو تواصل أمه مع ابنة عمها " مريم " بواسطة الهاتف. الذي منح لها فرصة التواصل مع العالم الخارجي بدء بالمشرفات على غرف التليفون اللواتي أصبحن يعرفنها جيدا. ووصولا إلى ابنة العم التي أنست وحدتها وأخرجتها من عزلتها، حيث تذكرت معها أيام الطفولة ذكريات الماضي بكل آماله وآلامه وأحلامه.

فالهاتف هو الوسيلة التي مكنتها من التواصل مع العالم الخارجي، حيث خرجت من قوقعتها وبدأت رحلتها مع التطور.

– «أصبح باستطاعتها أن تعلمني الجغرافيا الإنسانية أفضل مما تعلمه لي الكتب المدرسية وأساتذتي. من دون أن تهجر بيتها كونت شبكة من المعارف، تزداد يوما بعد يوم، لكنها كانت تتطور كالسمكة في الماء. انقطعت عن الوحدة، هذه الوحدة الموحشة والموغلة في القدم. العلاقات الإنسانية قبل الكتابة، كالصحافة الشفهية والحية، ذات أهمية بالغة».[1]

الأحداث المذكورة سابقا بدءا من الحدث الخامس إلى غاية هذا الحدث العاشر، أحداث مرتبطة ومتسلسلة فيما بينها، حيث ارتبطت بواسطة روابط سببية وزمنية، حيث يمثل دخول الكهرباء ممهد لدخول أدوات الحضارة الأخرى المتمثلة في جهاز الراديو، المكواة، آلة الطبخ، الهاتف والتي جمعها مكان واحد وهو" المنزل ". كما تمثل في مجملها العامل المساعد الذي أعطى دفعة قوية للأم مكنتها من التعرف على العالم الآخر.

1– المصدر السابق، ص 55– 56.

- **الحدث الحادي عشر:** خروج الأم من البيت مرة بعد زواجها من دون علم زوجها.

**مسوغاته:**

- ✓ أخذ مقاسات الأم " الحذاء ".
- ✓ شراء ثياب عصرية للأم.
- ✓ استغلال فترة غياب الأب عن المنزل.
- ✓ النهوض المبكر للأولاد، وترتيب البيت.
- ✓ القيام بتهيئة الأم ( تمشيط شعرها، إلباسها الثياب الجديدة ).
- ✓ تدريبها على السير بالحذاء الجديد ذو الكعب العالي.
- ✓ إصلاح الحذاء وفق ما يتناسب مع طبيعة الأم.
- ✓ حمل الأم عنوة وأخذها إلى السيارة.

❖ **بناء الحدث**

مثل هذا الحدث الخطوة الأولى لرحلة التغير التي ستخوضها الأم مع الحياة، والذي يعتبر حدث رئيسي، إذ أن الأم ولأول مرة في حياتها تخرق المألوف والعادة والممنوع، لتخرج في نزهة مع الابنين دون علم زوجها، حيث عمد الراوي إلى تقديم عدة مسوغات مهدت للحدث وقربته من القارئ الذي هيأته لاستقبال هذا الفعل المفاجئ من طرف الابنين والذي انتهى بمغادرة الأم للمنزل للمرة الأولى بعد زواجها ودون علم زوجها.

اغتنم الأبناء فرصة غياب الأب عن المنزل وانشغاله بتنمية أعماله، فاستيقظا مبكرا ورتبا المنزل ثم قاما بتحضير الأم ( تمشيط شعرها، إلباسها ثيابها الجديدة ) حيث بدت في صورة جديدة بشكل امرأة أخرى جميلة وأنيقة و بأجمل مظهر. كما مرناها على المشي بالكعب العالي إلا أنها فشلت ولم تنجح في ذلك، الشيء الذي جعلها تسقط منهزمة، منهارة وباكية إلا أن

" نجيب " لم يستسلم وأخذ الحذاء بكل ثقة إلى أحد أصدقائه الحرفيين وقام بإصلاح الحذاء وفق ما يتناسب مع طبيعة الأم.

– « لا تبكي، أمي ! لا يهم ذلك. سأصلح الأمر، أنا راجع بعد خمس دقائق. وأنت يا فصيلة عرعار المقبرة، لا تبق هنا مسمرا تطلب الغيث أو تنتظر نزول الأفكار من السماء. اذهب وسخن الشاي لمخلوقة زمننا».[1]

حيث مزج بين الحضارة المغربية والغربية، وهكذا تمكنت الأم من انتعال الحذاء بكل بساطة وارتياح، ليحملاها في الأخير على ذراعيهما إلى السيارة وهي تصرخ رافضة فكرة خروجها دون علم والدهما، حيث كانت مترددة و خائفة.

–«لكن ماذا سيقول أبوكم ؟ ..لا، لا، لا أقدر.. من أجل محبة الله ..أرجوكم ، يا أولادي..لا أحب ، لا أحب السينما ، إنها شيء غريب بالنسبة إليّ ..هيا نرجع إلى الدار .. تعرفون جيدا أني لم أخرج قط».[2]

إلا أن نجيب و أخيه الأصغر قاما بإقناعها بفكرة الخروج وحتمية التغيير.

– « الكل سيتغير، أديري ظهرك لذلك البيت وذلك الماضي الرتيب، أمشي، أمشي، أمشي إذن ! انظري حولك ! افتحي عينيك التي منحك الله إياها عند ولادتك. إن هذا العالم لك أنت كذلك. إنه جميل، أليس كذلك ....».[3]

وبهذا استسلمت للأمر وخطت أول خطوة في مواجهة الواقع المر، الذي حرمها من نعم الحياة ، وحقها كإنسان خلقه الله ومنّ عليه بنعمته كي يتمتع بالعيش، وأخذت تمشي بثقة وحزم ،

1– المصدر السابق، ص 63.
2– المصدر نفسه، ص 64.
3– المصدر نفسه، ص 64.

فعرفت ولأول مرة في حياتها معنى الحرية وشعرت بها بحق، حيث مشت بحرية وتنشقت الهواء فضحكت مع الطبيعة وبكت معها.

وهذا الحدث لم يكن صدفة وإنما كان بتخطيط من الابنين اللذين رغبا في رؤية الأم بصورة جديدة ومكانتها المستحقة في الحياة والذي سيسفر حتما عن أحداث أخرى، أكثر جرأة وقوة.

- **الحدث الثاني عشر:**نقاش الأم مع الأب.

**مسوغاته:**

- ✓ تواصل الأم مع العالم الخارجي من خلال وسائل الحضارة التي دخلت المنزل.
- ✓ خروج الأم في نزهة.

❖ **بناء الحدث**

ورد هذا الحدث مرتبطا بالأحداث السابقة له، والتي تعتبر في مجملها مسوغات مهد بها الكاتب لوقوع هذا الحدث الذي كان لا بد منه في خضم توالي الأحداث وتواليها في إطار رحلة التغيير، فهو نتيجة منطقية وخطوة منتظرة من طرف الأم.

بعد تواصل الأم مع العالم الخارجي من خلال وسائل الحضارة و بفضل النزهة وخروجها من المنزل انفتحت عيناها على الحقيقة فأدركت معنى الحرية ، معنى أن يكون الإنسان حرا لا تحده حدود و لا تقيده قيود، فثارت على الزوج الذي لا يعرف الحديث سوى عن أعماله وانجازاته ومشاريعه، فذاقت ذرعا بالاقتصاد السياسي وردت عليه ببرودة واستهزاء مما أثار غضب الزوج الذي لم يتوقع مثل هذا التصرف كونه ألف تلك الزوجة المطيعة والهادئة والتي لا تعترضه مهما جرى وحدث، فهي امرأة ماكثة في البيت لا علاقة لها بالعالم الخارجي.

- « في حين تفتحت عيناها الكبيرتان وأضحت أكبر وأعمق وقالت:

- والأشجار، كذلك؟

- أية أشجار؟ يرد أبي. هل ذكرت الأشجار؟

- أوه لا ! أجابت أمي بكل برودة. لقد نسيتها. تكلم لي عن الأشجار. كيف تعمل من أجل الزواج و الحصول على الأولاد، وكيف تغني لشمس الغروب؟

من فوق المائدة اتكأ نحو زوجته، يتأمل في نظراتها، وجها لوجه.

- ذكروني، عن ماذا كنت أتكلم منذ ربع ساعة ؟

- لا أعرف، ردت أمي. كنت أعرف أنك لم تتحدث عن الأشجار ولا عن العصافير. لا عن جدول ماء صغير».[1]

فالأم من خلال حديثها كانت تلمح لزوجها عن شيء جديد حصل معها عند خروجها وتحررها من السجن الذي حبسها فيه لأكثر من عشرين سنة لكنه لم يستوعب شيئا كونه لم ولن يخطر بباله أبدا مثل هذا الفعل لا في يقظته ولا في أحلامه.

وهكذا انتهى الخلاف بالصمت المطبق وبمغادرة الأب لمائدة الطعام غاضبا ومتحيرا.

- **الحدث الثالث عشر:** خروج الأم للمرة الثانية وذهابها إلى السينما.

**مسوغاته:**

- ✓ خروج الأم في المرة الأولى.
- ✓ مناقشة الأم للأب.

1- المصدر السابق ، ص 70 .

❖ **بناء الحدث**

ذكر هذا الحدث بعدما مهد له الراوي بسوابق كانت حافزا لحدوثه ، إضافة إلى التحفيز الوصفي الذي وصف من خلاله السينما بدءا بالاسم ومرورا بالديكور ووصولا الحضور الذي كان منشغلا بالتدخين: الكيف، التبغ، الغليون ... الخ، هذا الأخير الذي تفاجأ بدخول امرأة "الأم " إلى السينما والتي كانت أول امرأة تطأ رجلها هذه السينما.

حضرت الأم فلمين مختلفين عنوان الأول " ابن شهرزاد " أما الثاني فكان من نوع الويسترن بعنوان: الشريف والعسكر والهنود الحمر " فتفاعلت الأم مع الفلمين كثيرا، لدرجة أنها طلبت من الابن مساعدة البطل في مسرحية " الابن شهرزاد " ظنا منها أن ما تراه حقيقة.

-« هذا يكفي، هذا يكفي؟ كانت أمي تفرك يديها وتقول اذهب لنجدته يا نجيب. أنا آمرك؟».[1]

وهذا ما يمثل براءة تلك المرأة " الأم " وطفولتها، فهي بريئة وصادقة كالطفل الصغير في عمر الدمى فشاهدت الفيلم بشغف وعمق ودهشة كبيرة، كونها لم ترى مثل هذا من قبل، كما ربطت بين الفيلمين من خلال الشخص الذي أدى دور الجلاد في الفيلم الأول ودور الشريف في الفيلم الثاني الذي سقط من على الحصان. فاعتبرته جزاء له على ما فعله، إلا أنها سامحته في الأخير.

- **الحدث الرابع عشر:** تأثر الأم بالمسرحية الأولى وتأليفها لقصة انطلاقا مما شاهدته من خلال الفيلم.

**مسوغاته:**

✓ ذهاب الأم لأول مرة إلى السينما.

1- المصدر السابق، ص 78.

✓ تأثرها الشديد بالفيلم.

✓ حبها لرواية القصص.

❖ **بناء الحدث**

ارتبط حدث تأليف أو نسج الأم القصة بحدث خروجها إلى السينما ومشاهدة فيلم " ابن شهرزاد " الذي شكل بالنسبة لها حافزا قويا جعلها تقوم بتأليف قصة أخرى على منواله وذلك حينما بدأت تحكي تفاصيل الفيلم أين أخذت تعلق على الأحداث وتؤول معناها،تضيف وتحذف وفق مزاجها، فنقلتها إلى عالم الخيال والجن، فحولتها إلى قصة أخرى لا علاقة لها بقصة الفيلم الحقيقي الذي شاهدته.

جلبت طريقة حكي الأم للقصة انتباه الجمهور الذي التف حولها مستمتعا بالقصة وكيفية سبك الكلام وتطريزه مما جعلها مشوقة لدرجة أن الجمهور ترك كل انشغالاته وانصرف نحوها يستمتع بالقصة.

- « فجأة ساد الصمت، والتفت، كان الجمهور قد تجمع من ورائنا كانوا يستمعون بحماس لا أحد منهم يأكل أو يشرب، وكذلك لا أحد يدخن.

وماذا يحدث سأل أحد الرجال في عمر النضج. احكي يا عمتي، احكي».[1]

- **الحدث الخامس عشر:** عدم نوم الأم وتساؤلها عن كيانها ونفسها.

**مسوغاته:**

✓ خروج الأم من المنزل.

✓ مشاهدتها لأفلام سينمائية وتأثرها بها.

✓ اكتشافها لعالم آخر بصفاته ونظمه ومكوناته التي لم يسبق أن عرفتها من قبل.

1- المصدر السابق، ص 79.

❖ **بناء الحدث**

بعد خروج الأم وذهابها للسينما أين شاهدت فيلمين مختلفين سافرا بها إلى عالم آخر مليء بالخيال والإبداع، مما جعلها تعيش في كون آخر غير الذي ألفته، فاختلط كل شيء في ذهنها الخيال والحقيقة، الحكاية والواقع، العنف والتسامح، عالم مليء بالرعب والخوف والضجيج وهو غريب عنها، أدى بها إلى الاستيقاظ من غفلتها، فسهرت طول الليل وهي تحاول ترتيب كل شيء غريب عنها، فهي التي كانت مرتبة وفاهمة لنفسها ومحيطها الخاص، لها أعمالها وأشغالها تعرف ما لها وما عليها، أضحت تعرف عالما آخر معاكس لكل ما عاشته وكبرت عليه.

وقد سبب لها ذلك الخوف والرعب. رغم أنها كانت على علم بما يدور حولها، يحاول أبناءها القيام به من أجل إخراجها من قوقعتها، ففي هذه الليلة أطلقت الحدود لتساؤلاتها وأحزانها وآلامها وآمالها حيث بقيت تحكي طوال الليل مع ابنها عن حياتها وأساسها وحججها....الخ، فغدت باحثة عن نفسها وكيانها.أن تكون لا أن تملك.

– « كل تلك الأسئلة في تلك الليلة، كل أحزانها توحي إلى السؤال نفسه. لماذا ؟ لم تكن تبحث عن رد لكن كانت تريد أن تفهم أن تكون وليس أن تملك أو أن يكون لديها».[1]

بني الحدث هنا على حوافز ومسوغات سابقة له، وهي حوافز ديناميكية أدت إلى تغير حالة الأم حين تحركت وسألت لأول مرة عن نفسها وكيانها، فأفصحت برغبتها للتغيير، والتي أسفرت عنها الأحداث السابقة وخصوصا مشاهدتها للفيلمين، والتي ستؤدي حتما إلى إحداث تغير في مجرى الحكي لا حقا، لذا فهو حدث رئيسي.

1– المصدر السابق، ص 82.

- **الحدث السادس عشر:** ذهاب الأم إلى الحفلة والمهرجان.

**مسوغاته:**

- ✓ خروج الأم من المنزل.
- ✓ تواصلها مع العالم الخارجي.
- ✓ رغبة الأم في التغير.

❖ **بناء الحدث**

ارتبط هذا الحدث مع الأحداث السابقة زمنيا وسببيا، فخروج الأم في المرة الأولى والثانية لا بد أن يتبعه استمرار لهذا الخروج، وهو ما يشكل رغبة الأم الجامحة في التعلم والتحضر.

وحضورها للحفلة والمهرجان ما هو إلا سبب آخر أو وسيلة أخرى من وسائل التعرف على العالم الخارجي بطريقة أخرى، حيث أن لكل مناسبة ولكل مكان خصائصه وسماته وتقاليده.... الخ، حيث اكتشفت أشياء جديدة إضافة إلى الأشياء السابقة.

وما لتنويع هذه الأماكن والمناسبات إلا سبب واحد ووحيد وهو تعريف الأم بكل جزء من ثقافة العالم، حتى تغدو عارفة وملمة بكل شيء لا تفوتها فائتة.

- **الحدث السابع عشر:** تعليم الابن الأصغر للأم.

**مسوغاته:**

- ✓ خروجها من المنزل ( التجول في الشوارع، السينما، الحفلة، المهرجان ).
- ✓ الأدوات المدرسية ( الدفتر، اللوحة، قلم الرصاص...).
- ✓ تعريف الأم بالتاريخ والجغرافيا.
- ✓ تعريفها بجسمها أين عرفت لأول مرة ما هي الدورة الشهرية.

✓ تحفيزها وتوبيخها على الدراسة.

❖ **بناء الحدث**

يمثل المسار الأخير الذي مشى فيه الابن الأصغر في رحلته مع الأم في مسيرتها مع الحياة ( التقاليد / الحضارة ) والذي أتى بعد تحفيزات عديدة قام بها الولدين مع الأم.والتي تمثلت في جل الأحداث السابقة الذكر، والذي يعد آخر مربط الفرس الذي سعيا إليه و هو تعلم الأم ومواجهتها للحقيقة – حقيقة العلم والحداثة – إضافة إلى المسوغات التي أشرنا إليها قبل قليل والتي تعتبر كلها مسوغات للوصول إلى هذا الحدث، حيث جاءت كلها مترابطة ومتسلسلة، فربطت بين كل هذه الأحداث.

وفي هذه المرحلة قام الابن الأصغر بتهيئة كل الظروف ( شراء أدوات مدرسية، تهيئة الأم نفسيا....الخ ) فعلمها الحروف والكلمات والتاريخ والجغرافيا ...الخ وأخيرا علمها جسمها أين عرفت لأول مرة حقيقة العادة الشهرية وذلك في سن الخامسة والثلاثين، إضافة إلى الابن نجيب الذي فتح لها حسابا بنكيا وحفزها على التعلم من خلال تعليمها لعب الورق كلما نجحت في حل مسألة رياضية .. الخ، و ما ساعد على ذلك كونها تحب اللعب، كما كان يوبخها عندما تحصل على درجات سيئة يعود في الأخير ويقوم بمواساتها.

- **الحدث الثامن عشر:** مصارحة الابنين للأم بالحقيقة.

**مسوغاته:**

✓ شراء نجيب للسيارة.

✓ تعريفها على أصدقاء الابنين و محيط كل منهما.

✓ تجوال نجيب بالأم رفقة الأخ الأصغر في شوارع المدينة، المقهى.

✓ أخذها إلى محطة توليد الكهرباء.

❖ **بناء الحدث**

شكل هذا الحدث الرئيسي الخاتمة المنطقية والمنتظرة للحدث السابق، لأن الغرض من التعلم هو الوصول إلى الحقيقة، وهذا ما فعله الابنان عندما أخذا الأم إلى محطة توليد الكهرباء أين اعترفا لها بحقيقة الكهرباء التي ليست بسحر، والسيد أكتوه ( الراديو ) الذي ليس بساحر، أين بدأت تطرح الأسئلة:

-«ماذا كانت الكهرباء التي تعطي الضوء في المصابيح والصوت لجهاز الراديو ".[1]

فعرفت حقيقة أكتوه الحقيقي " المذيع ".

-« السيد أكتوه، هذا " السنوك " الأصلع وبأسنان البلاستيك، وجلد عش الغراب، ذو عيني امرأة».[2]

وهنا عرفت الحقيقة عن قرب وتمكنت من رؤية النور، فتطورت وتأقلمت مع الواقع بسرعة وتفوق، فدخلت عالم الاستهلاك، وأصبحت تشتري كل ما تحتاجه وما لا تحتاجه لتزداد معرفة.

لتتوصل في الأخير إلى حقيقة أخرى صدمتها وجعلتها حزينة مكتئبة،ونادمة على ما فاتها وهي محبوسة داخل قوقعتها والتي تمثلت في ابنيها الذين كبرا وأصبحا يعيشان وحدهما خارج عالمها عالم والدهما . فاكتشفت كبر سنها، فكانت الحقيقة الكاملة ماكثة أمامها بكل محاسنها ومساوئها، أفراحها وأحزانها، والتي شكلت النهاية لهذه المرحلة.

1- المصدر السابق، ص 91.

2- المصدر نفسه، ص 92.

- **الحدث التاسع عشر:** رحيل الابن الأصغر إلى الخارج.

**مسوغاته:**

- ✓ اكتشاف الأم للحقيقة الكاملة.
- ✓ حصول الابن الأصغر على شهادة الباكالوريا.
- ✓ ذهاب العائلة إلى شاطئ البحر.
- ✓ تهيئة الابن الأصغر لأمه نفسيا.

❖ **بناء الحدث**

مثل البداية بالنسبة للراوي ( اكتشاف العالم الآخر )والنهاية بالنسبة للسرد الروائي، فهو حدث رئيسي، حيث يمثل النهاية المتوقعة لأنه ورد كلاحقة لحدث الرجوع، والذي استهل به الكاتب روايته، فهو يمثل النهاية لدور الراوي ( الابن الأصغر ) في رحلة الأم الطويلة والتي مهد لها بحصوله على شهادة الباكالوريا التي تحتم عليه إكمال دراسته بالخارج " فرنسا" فكانت آخر ذكرياته مع عائلته في وطنه على شاطئ البحر، والذي كان أول ما ذكره الراوي بعد عودته إلى وطنه. حيث عرف هذا الفراق ألما وحزنا شديد خصوصا بالنسبة للأم التي حافظت على كبريائها وابتسامتها رغم كل شيء، وهنا كانت النهاية لهذا الجزء.

- « وكانت نهاية للماضي، الماضي الشخصي».[1]

1- المصدر السابق، ص 97.

**المرحلة الثانية:" كيف أصبحت ".**

**الحدث الأول:** رفض الأم الخروج من البيت والقيام بأشغال البيت.

**مسوغاته:**

- ✓ رحيل الابن الأصغر.
- ✓ الشعور بالوحدة.

❖ **بناء الحدث**

هو أول حدث يقع بعد مغادرة الابن الأصغر إلى الخارج من أجل إتمام دراسته، والذي كان فراقه جد صعب على الأم. هذه الأخيرة التي شعرت بالوحدة والإحباط مما جعلها تتراجع فرفضت الخروج على الرغم من الأجواء الرائعة في الخارج ( سيرك عمار ) كما رفضت القيام بأشغال البيت وهي التي كانت تحب كل ما تصنعه يدها.

فجاء مرتبط ومتسلسل مع الأحداث السابقة الواردة في الجزء الأول من الرواية، فهو تكملة له، والذي يمثل النتيجة المنطقية، المنتظرة من طرف الأم كونها فقدت أعز أناسها وأقربهم إليها.

مهد الكاتب لهذا الحدث بحوافز أدت إلى وقوعه، والتي شكلها رحيل الابن الأصغر، والشعور العميق الذي انتاب الأم بالوحدةوالنقص، حيث مهد القارئ الطريق لاستقبال مثل هذا الحدث المفاجئ، فجعلها سابقة للحدث.

- **الحدث الثاني:** خروج الأم المفاجئ وقيامها بجمع معلومات حول الحرب.

**مسوغاته:**

- ✓ استعداد الأم للخروج ( النهوض المبكر، حقيبة اليد، الساعة اليابانية )
- ✓ إيقاظ نجيب من النوم.

✓ تواصلها مع معارفها من خلال الهاتف.

❖ **بناء الحدث**

مهد الكاتب لهذا الحدث الرئيسي بمسوغات جعلها سابقة له، والتي تمثلت في استعداد الأم المفاجئ للخروج، حيث أيقظت نجيب من أجل الذهاب للسوق، أين اشترت عدة أشياء: أشرطة للقياس، قاموس قديم، خريطة الكرة الأرضية.

ثم عادت إلى البيت، وقامت بالاتصال بالجميع عبر الهاتف ( مكناس، فاس ...) وأخيرا تواصلت مع مصلحة الجريدة الناطقة، وابنة عمها و ذلك من أجل جمع المعلومات حول الحروب والرؤساء والقادة.

كما استخدمت الخريطة من أجل تحديد المناطق ومعرفتها وكذا لمعرفة مكان المعسكر.

فالأم تملك رغبة شديدة في مقابلة " ديغول " ولهذا قامت بتجميع المعلومات وتحقيقها استعدادا لمقابلته، كما بقيت ساهرة طوال الليل وهي تخيط راية كبيرة تجمع كل أعلام العالم لتوضح لديغول أن كل الديمقراطيات موجودة، ولها الحق في الحرية والعيش بسلام.

فكان مرتبط بالحدث السابق له كونه يمثل الانتصار، أي انتصار الأم على خوفها وحزنها ووحدتها بعد غياب الابن الأصغر، حيث خرجت وقامت بإكمال مسيرتها مع الحياة التي كانت قد بدأت فيها من قبل.

- **الحدث الثالث:** خروج الأم لمقابلة ديغول وسط حشد من الجماهير.

**مسوغاته:**

✓ ذهاب الأم إلى السوق.

✓ اتصالها مع العالم الخارجي ( المعارف، الأصدقاء، الصحافيين...).

✓ خياطة العلم ( الراية ).

- ✓ جمع الحشود وتعبئتهم.
- ✓ العساكر.
- ✓ النشيد.
- ✓ محادثة الأم مع الجندي.

❖ **بناء الحدث**

مثل العملية الأخيرة في عملية التحضير لمقابلة " ديغول "، وهذا بعد الاستعداد الجيد من طرف الأم التي قامت بمختلف الاستعدادات لمثل هذا اللقاء، حيث جمعت كل المعلومات حول المعسكر واتصلت بكل معارفها وأصدقائها من أجل المساعدة، كما قامت بخياطة الراية،وقامت صديقاتها بتهيئة الطبول والدفوف والشعارات، ثم توجهوا إلى مكان تواجد ديغول، أين تصادمت مع العسكري، فدار بينهما حوار طويل، حيث أخذت تسأله عن ديغول، ورغبتها في مقابلته، إلا أنه أخذ يتلعثم في الإجابة كونه مجرد جندي ضعيف، لا يملك إلا طاعة قادته، فالأم ترغب في الوصول إلى ديغول لتعبر عن رأيها ورغبة الشعوب في إثبات نفسها ووجودها ورغبتها في الحرية والديمقراطية.

-« أحضرنا له معنا علما من أجل التعبير بأن شعوبنا هي كذلك موجودة على الأرض، تتوق بدورها إلى الحرية والديمقراطية. يجب أن يعرف ذلك وأن يتعرف علينا. إذا كان يريد أن يتحدث عن السلام مستقبلا، سيكون الكلام معنا، وليس مع من قرعوا طبول الحرب الشنيعة. كعربون صداقة وحسن نية، أريد أن أقدم له هذا العذق من البلح. هل فهمت، يا جندي ؟».[1]

1- المصدر السابق، ص 116.

حيث أخذت معها عذق البلح لتقدمه لديغول، إلا أن الجندي التهمه كله، والذي أثار غضبها لغبائه وطريقة كلامه. حيث لم تصل معه لتحقيق رغبتها في مقابلة ديغول، فنقلتها للجندي لينقلها إلى ديغول.

- « أمي : ردد من ورائي وردد للجنرال ديغول: البند 1... الحرية.

العسكري البند 1.....الحرية.

أمي: الحرية للجميع.

العسكري: الحرية للجميع. فهمت. العقوبة، ماذا ؟»[1]

- «أمي: من تحملوا أهوال هذه الحرب هم من يمرون أولا. سيبنون عالم الغد. ولا نريد محامين، ومن يفكر من أجلنا ومن يعمل لأجلنا. نريد عالما من الصفاء، والطيبة، والجمال والفرح. الرجال دائما يخطئون، ارتكبوا الأخطاء، بنوا على الدوام سلام مع خراب الحرب. لم نعد نقبل هذا العالم .ردد !».[2]

وهكذا بقيت الأم وسط الحشود التي تردد بنود الدستور العالمي للشعوب غير المستقلة، بعدما فشلت في مقابلة ديغول الذي رأته من بعيد فقط وظنته زوجها.

- **الحدث الرابع:** دخول الأم في مواجهة الأب.

**مسوغاته:**

- ✓ تواصل الأم مع العالم الخارجي.
- ✓ تغيرها الجذري ( التعلم والتحضر ).

1- المصدر السابق، ص 121.

2- المصدر نفسه، ص ن.

❖ **بناء الحدث**

جاء حدث دخول الأم في المواجهة بعد حادثة خروجها لمقابلة ديغول والتي لم تنجح فيها، حيث دخلت في مواجهة مع الأب ( زوجها ) الذي رفض هذا التغير المفاجئ للأم، التي تحولت من أم وزوجة مطيعة إلى امرأة أخرى تتكلم بلغة غريبة، وتتصرف بغرابة والتي لم يعد يفهمها أبدا.

وبعدها قامت بمواجهة زوجها بالحقيقة وبأنها قد تغيرت و تحولت إلى امرأة جديدة قوية

– «بالطبع، بالطبع. أنت دائما تؤدي ما أطلب. من قدميّ إلى أعواد أسناني، مرورا بالمؤونة إلى ملاقط الغسيل. كل شيء. لا، سيدي، لا: رغباتي لم تكن تستجاب. وكانت في الحسبان. كانت رغباتك. الآن، لا تفهم، باستطاعتي الآن أن أمر عبر سم الإبرة. إنه صعب، ستقول لا يمكن ؟ ربما، لكنني قادرة على فعل ذلك. أقدر أن أفعل كل شيء».[1]

فالأم التي كانت خاضعة للزوج والتقاليد والتي كانت جاهلة ومنعزلة لم تعد كذلك، بل أصبحت امرأة حرة ومتعلمة، تعرف كل ما يدور حولها، وكل ما يجري في العالم، لم تعد غبية ولا بسيطة هي الآن امرأة قوية تستطيع القيام بكل شيء بقوة وبجرأة وعزم رجل، الشيء الذي لم يتقبله عقل الزوج ولم يخطر حتى بباله، فهو مازال يرى فيها مجرد تلك الطفلة الفقيرة اليتيمة التي لا حول ولا قوة لها، والذي جعلها بمكانته امرأة محترمة، فأدرك الحقيقة متأخرا كما عرف بأمر مساعدة نجيب لأمه. الذي تدخل لفض النقاش بينهما، مما أثار غضب والدته،وكذلك الوالد خاصماه مدة من الزمن.

1– المصدر السابق، ص 127.

- **الحدث الخامس:** تخلص الأم من كل ذكريات الماضي.

**مسوغاته:**

- ✓ الذهاب إلى شاطئ البحر.
- ✓ أخذ شجرة البرتقال.
- ✓ أخذ أدوات الحفر.
- ✓ الحفر.
- ✓ أخذ صندوق الأم الذي يحوي كل ذكرياتها.

❖ **بناء الحدث**

وطد الكاتب لهذا الحدث بمشهد وصفي ، وصف من خلاله شاطئ البحر بكل ما فيه (طيور النورس ، الحصان بلانكو ....). وهو المكان الذي قررت الأم أن تدفن فيه ذكرياتها حيث بدأ نجيب بعملية الحفر وفق تعليمات الأم.

-«أحفر عميقا ، شرقا ، في اتجاه مكة».[1]

إلى أن وصل إلى العمق المطلوب. فقامت الأم بفتح الصندوق الذي كانت تجلس عليه، وبدأت بمد الذكريات الواحدة تلوى الأخرى ( الفساتين القديمة، المرأة الحديدية المصقولة، قوارير العطر، إناء الخزف، أحمر الشفاه....) حيث كانت تأخذ كل قطعة وتتأمل فيها مليا فتذهب معها إلى الماضي البعيد لتعود في الأخير وتقلبها ثم تضعها في القبر. إلى أن وصلت إلى الصندوق الذي دفعت به أيضا إلى الحفرة لتي غرست فيها شجرة البرتقال.

وهكذا ودعت كل أصدقاء الطفولة والصبا، لتبدأ المستقبل، مسيرتها مع الحياة بكل تطوراتها وعصرنتها وحداثتها، لتدخل بذلك مرحلة جديدة في حياتها تفصلها تماما عن الحياة

1- المصدر السابق، ص 138.

الماضية، حيث تخلصت من كل ما يربطها بالماضي بدءا بأشيائها ووصولا إلى أثاث المنزل الذي باعته في البازار بالمزاد.

-« كل ما تبقى في الدار باعته، في البازار وبالمزاد، بمساعدة اثنين من الدلالة، أثاث، زرابي، أواني، كذلك سريري. هو ذلك السرير الذي رأيت النور فوقه».[1]

- **الحدث السادس:**تجهيز البيت بأثاث عصري من فرنسا.

**مسوغاته:**

- ✓ التخلص من ذكريات الماضي.
- ✓ بيع أثاث المنزل.
- ✓ صبغة المنزل.

❖ **بناء الحدث**

ارتبط حدث تجهيز البيت بالأثاث بالحدث السابق، والذي يشكل ممهدا لوقوع حدث جديد، فتخلص الأم من ذكريات الماضي وأثاث المنزل ودهن البيت كلها مسوغات لقيام الأم بشيء آخر جديد، فهذا الحدث هو نتيجة منطقية للحدث السابق.

بعد قيام الأم بتحضير البيت قامت بتجهيزه بأثاث عصري، حيث وصلت الشحنة من فرنسا والتي تنوعت من أسرة وأفرشة، أوان، آلات المطبخ، مواد التنظيف، مرايا، تماثيل، زرابي ...الخ، حيث مثلت هذه الخطوة خطوة مهمة بالنسبة للأم في إطار رحلة التغير، وهذا ما يدل على مدى تأثرها بثقافة الغير ورغبتها الشديدة في التغير إلى الأحسن.

كما قامت بتغيير مائدة الطعام، والتي تغيرت معها طريقة تقديم الطعام، التي أصبحت على الطريقة الغربية مما أثار غضب الزوج.

---

1- المصدر السابق، ص 141.

-« رفع المنديل إلى وجهه كأنه يريد التمعن فيه عن قرب، مسح به أنفه بصوت مرتفع وانصرف صاكا الباب من ورائه».[1]

- **الحدث السابع:** دخول الأم إلى المدرسة.

**مسوغاته:**

- ✓ رغبتها في التعلم.
- ✓ شراء أدوات الدراسة.
- ✓ دراستها في المنزل.
- ✓ شرائها للكتب المختلفة اللغات.

❖ **بناء الحدث**

يعتبر هذا الحدث امتداد لحدث تعليم الأم من طرف الابن الأصغر الذي سعى منذ البداية إلى تعليم أمه والذي عرفها على حقيقة الكهرباء الراديو، إضافة إلى أنه خطوة منتظرة من الأم كونها تحولت إلى امرأة جديدة تسير على الطريقة الغربية والتي لا بد لها من التعلم والتثقف لتصل إلى مصاف الغربيين بجدارة واستحقاق.

حيث دخلت الأم المدرسة فاشترت كل لوازم الدراسة، فارتادت المدرسة بشغف كبي، وحب أكبر في التعلم والتحضر، فانشغلت بالدراسة وأهملت أعمال المنزل. فأضحت تلميذة مجتهدة وذكية.

1- المصدر السابق، ص 146.

-« أوه ! إنها مجتهدة، حية، وجد ذكية. إنها تملك الحس والفرح بالحياة، لكنني أفضل البليدات، على الأقل التلاميذ بمستوى متوسط. هل تفهم، سيدي العزيز، كل مرة أراها تدخل وتجلس في الصف الأول، كنت أحس بالرعب وعندما تطرح عليّ الأسئلة».[1]

إلا أن السبب الحقيقي وراء رغبتها الجامحة في التعلم والتحضر هو الالتحاق بالمهرج الصغير، أن تكون معه، تفعل شيئا لحياتها.-«الشيء الذي أريد، الذي أثابر من أجله، هو أن ألحق به، نعم، التحق به، التحق بشبابه، أن أكون بجانبه عندما يكون الغد عامرا بالشباب ويكون العجزة في التقاليد، أبني معه، أن أفعل شيئا لحياتي ...».[2]

حيث تمكنت في الأخير من النجاح في مشوارها التعليمي فحصلت على الشهادات بجدارة، والتي سيكون لها دور مهم فيما ستصل إليه الأم لاحقا.

- **الحدث الثامن:** انخراط الأم في العمل السياسي والاجتماعي.

**مسوغاته:**

- ✓ خروجها في مظاهرة لمقابلة ديغول.
- ✓ التنقل في أرجاء الوطن.

❖ **بناء الحدث**

شكل مرحلة جديدة ومتطورة في إطار رحلة التغيير التي تخوضها الأم مع الحياة، والذي جاء بعد عدة صراعات وانتصارات مهدت الطريق لوقوعه.

1 – المصدر السابق، ص 156.

2 –المصدر نفسه، ص 153.

بعد الجهد الكبير الذي بذلته الأم في مسيرتها ضد التقاليد، والذي يمثل عاملا أساسيا لوصولها إلى هذه المرحلة المتقدمة من التعلم والتحضر، حيث دخلت في العمل السياسي والاجتماعي، فتمردت على القوانينوالممنوعات، فدافعت عن حريتها وحرية كل النساء

-« الرئيس المسير للخلية، هي أمي تنظم توزيع الطعام، تقسم النساء في مجموعات دراسية بثلاث أو أربع في كل مجموعة، تذهب من هذه إلى تلك، تراقب، تنشط، من دون توقف بحركة وحماس. موضوع واحد في كل جلسة. مثال: " كيف ندك الجبل ؟ ". أو " ماذا وقع لبلدنا في سنة 1912 ؟ " وأمثلة أخرى: " إذا ما تخلفت المرأة عن واجباتها الزوجي، هل تحصل على استقلالها ؟ " أو هل ستكون أول امرأةيتم تأنيبها ؟ اشرحوا مع إعطاء أمثلة محدودة».[1]

حيث مدت يدها لكل النساء المضطهدات، رغم كل الظروف والمعيقات التي كانت تعترض طريقها من قطاع الطرق الذين كانوا يرمون سيارتها بالأحجار ويقطعون عجلات السيارة، وكذلك التهديدات التي كانت تصلهم إلا أنها لم تستسلم وواصلت طريقها بمساعدة أصدقاء ابنها نجيب ( عصابته ) الذين كانوا يوفرون لها الحماية والدعم. إلى أن قررت في الأخير الاجتماع بهن في منزلها.

- « أعرف ماذا سأعمل. بما أنه أصبحت لديّ صعوبة في اللقاء مع صديقاتي، سأطلب منهن المجيء. هكذا سأصبح قريبة منهن، كل أيام الأسبوع».[2]

إضافة إلى انخراطها في العمل السياسي، ففي أثناء الحرب العالمية كانت تجوب البلد من أجل تحريض النساء، كما قامت بالخروج في مظاهرات رغبة منها في مقابلة ديغول وإخباره

1- المصدر السابق، ص 163.

2- المصدر نفسه، ص 165.

برغباتها في التحرر وإثبات أحقية الشعوب في سيادتها واستقلالها، كما استطاعت أن تسافر طولا وعرضا، حيث كانت الدول الكبرى تستغل قوتها للسيطرة للعالم.

وتمثل هذه المرحلة بداية النهاية والتي كللت بالنجاح، فتحققت رغبة الابنين، ورغبة الأم الجامحة في التعلم والتحضر، و بلوغ مكانة مهمة في المجتمع خصوصا والعالم عموما.

- **الحدث التاسع:** اعتراف الأب بدور المرأة في المجتمع، وتقبله لفكرة التغير ( تغير الزوجة).

**مسوغاته:**

- ✓ الصمت.
- ✓ إحساسه بالسخط.
- ✓ توصله للحقيقة ( المرأة عنصر فعال في المجتمع ).
- ✓ مساعدة الزوجة في أعمالها ودعمها ماديا ومعنويا.

❖ **بناء الحدث**

بني على مسوغات مهدت للمتلقي الطريق لاستقبال مثل هذا الحدث والتكهن به، والتي ساغها الكاتب من خلال الصمت المطبق الذي آل إليه الزوج وإحساسه بالسخط وندمه على حبس زوجته في البيت وهي التي عرفته بالحقيقة التي لطالما كان غافلا عنها.

ثم إن هذا الحدث الرئيسي مرتبط بالأحداث السابقة وخصوصا أن رغبة الزوجة وتحولها كانت محور الجدال الدائم بينهما، والتي تسببت في خلافات كبيرة في العائلة، كما في الأحداث السابقة. هذه الأخيرة التي أدت في آخر المطاف إلى تغيير فكر الزوج ونظرته بالنسبة للمرأة، الذي ندم في نهاية المطاف واعترف بدور المرأة في المجتمع.

-« أساس كل مجتمع، كانت الجماعة، وجوهر الجماعة، إنها في الواقع الأسرة. إذا ظلت الزوجة داخل هذه الأسرة محبوسة كما فعلنا نحن لمدة قرون، إذا لم يكن لديها أي منفذ

على العالم الخارجي، أي دور فعلي، المجتمع بأسره سيتأثر حتما، سينغلق على نفسه، ولن يبقى له ما يجلب، لا لذاته ولا لبقية العالم. سيكون المجتمع غير قادر على البقاء، بالضبط كالمؤسسات العائلية العتيقة التي تتفتت في البورصة عند أدنى عرض عمومي للشراء».[1]

فاستسلم بعد طول المعاناة لتغيرات زوجته، فبدأ يدعمها بماله لكي تقوم بأنشطتها السياسية. كما قام باستقبال الضيوف والزعماء السياسيين، فدعمها ماديا ومعنويا.

-«أبي كان هناك يرافق الزعماء، يعدهم بالمساهمة في صناديقهم الانتخابية. وأنا كنت أضحك، كان ذلك يثير بهجتهم وكنت لا أدري لماذا».[2]

وهكذا حققت الأم كل أهدافها مع زوجها ومع محيطها الخارجي.

- **الحدث العاشر**: سفر الأم إلى الخارج ( التحاقها بابنها الأصغر ).

**مسوغاته:**

- ✓ رغبتها في اكتشاف العالم الغربي.
- ✓ رغبتها في الالتحاق بابنها الأصغر والعيش معه.
- ✓ نجاحها في كل الامتحانات،ونهاية الحرب.
- ✓ إهداء شعرها لابنها وشهاداتها لزوجها.
- ✓ جمع الحقائب.

1- المصدر السابق، ص 170 -171.

2- المصدر نفسه، ص 175.

❖ **بناء الحدث**

بعد كل ما عرضناه من أحداث عاشتها الأم في حياتها، إلا أن هذا الحدث الأخير هو النتيجة الايجابية التي وصلت إليها الأم وحققتها في معركتها مع الحياة، والتي نجحت بفضل ما بذلته من جهد وما قامت به من أعمال جعلتها جديرة بامتلاك مكانة مهمة في المجتمع.

إنها لحظة النهاية، النهاية التي تمثلت في سفر الأم إلى الخارج لتلتحق بالابن الأصغر، ساعية بذلك إلى ما سعى له الابن من رغبة في التحضر والتقدم و تحصيل أكثر قدر من المعرفة، فكانت لحظة الوداع جد مؤلمة لها ولعائلتها، حيث قصت شعرها وأهدته لنجيب، وأهدت شهاداتها ملفوفة بخيوط مذهبة إلى زوجها من أجل ذكريات الماضي، وأعلنت ساعة الرحيل. التي كانت ساعة ألم حزن و بكاء؛ لحظة فراق مرير، كون أنها لا تجد جدوى من بقائها فالحرب انتهت والاستقلال عم أرجاء الوطن، وما بقي عليها سوى اكتشاف العالم الآخر.

إلا أن نجيب بقي وفيا لأمه التي لم يفارقها للحظة، حيث كان المساعد واليد اليمنى لأمه والذي فاجأ أمه لحظة انطلاق الباخرة بأنه مسافر معها وأنه قام بتحضير كل شيء.

- «كنت أشك في أن تقوم بعمل غبي من هذا النوع. نعم، أنا مسرورة بأن تأتي معي.
- إذن، تساعدني، هيه،أمي؟
- كيف ذلك ؟
- بأن تدفعي هذه التذكرة».[1]

وهكذا كانت النهاية حيث تحققت رغبة الأم، فجابت البلد شبرا شبرا واستطاعت أن تسافر طولا وعرضا، إلى أن التحقت بابنها الأصغر رفقة نجيب.

1- المصدر السابق، ص 178.

# خاتمة

عني هذا البحث بدراسة الشخصية ووظائفها ومختلف الأحداث الصادرة عنها في رواية " الحضارة أمي " لإدريس الشرايبي، بتطبيق المقاربة السيميائية، حيث اشتمل البحث على مقدمة تلاها فصلان اثنان ، تناولنا فيهما أنواع الشخصيات ووظائفها، ثم الأحداث ومسوغاتها، والتي تعتبر كلها أجزاء رئيسية لا غنى للرواية عنها، وهذا راجع لكونها أجزاء مترابطة ومتكاملة فيما بينها .

ونخلص من هذه المقاربة النظرية / التطبيقية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نوجزها في العناصر التالية:

ونبدؤها بالحديث عن الرواية في حد ذاتها ، فمن خلال تصفحنا لها اتضح لنا أن هذه الرواية غنية وثرية بشخصيات متناسبة مع موضوع الدراسة ، فهي مختلفة ومتباينة بين مرجعية واستذكارية وإشارة ، إضافة إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية .....وغيرها والتي وكل إليها الكاتب وظائف وأدوار متباينة ومتعددة.

كما زخرت الرواية بأحداث متنوعة، ربط الكاتب بينها بأسلوب جميل، حيث جاءت كلها متسلسلة فتنوعت الروابط التي جمعت بينها بين سببية وزمنية ومنطقية هذا إضافة إلى تقديم وصف لمختلف الشخصيات وصفاتها وطبائعها ، وجل الأماكن التي جرت فيها الأحداث والتي صورها الراوي أدق تصوير، حيث عكست طبيعة وجمال المغرب بكل ما ينطوي عليه من موجودات .

تجدر الإشارة إلى أن الراوي استخدم الشخصيات بكثرة ، فجعل شخصياته خليط من الأجناس، والتي عمد من خلالها إلى تقديم وصف ومقارنة للعالمين العربي ( المغربي )

والغربي، ليبين الفرق والهوة الكبيرة بين العالمين، ولكي يوقظ الإنسان العربي من جهله و سباته الطويل حتى يلتحق بركب الحضارة الغربية ويتحرر من الجهل والعبودية .

– قسم هامون الشخصية إلى ثلاثة فئات : الشخصية المرجعية، الإشارية، الاستذكارية، والتي وجودها في النص يحمل دلالات متعددة و مختلفة كما تؤدي وظائف متباينة.

– يعتبر الحدث عنصر أساسي في الرواية ( الخطاب )، يرتبط بالشخصية ارتباطا وثيقا التي تعمل بدورها كقوة مولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها، فتتحرك في الزمان والمكان مشكلة بعلاقاتها المتصارعة عنصر التشويق والإثارة .

– اختلفت تعريفات الناقدين للحدث، إلا أنها اجتمعت في القول بأن الحدث هو التغير من حالة إلى أخرى بسبب خرق الشخصية للمألوف والعادة.

– استطاعت العملية التحليلية لنص " الحضارة أمي " رصد كل العوامل الموجودة فيها وتصنيفها ضمن خانات النموذج العاملي المقترح من طرف غريماس، وكذا تصنيف هامون للشخصيات.

– إن التعرف على البنية الدلالية الأصلية لا يكون إلا من خلال رسم المربع السيميائي الذي يعد نمذجة شكلية تقع في المستوى العميق.

– لقد أحالنا المربع السيميائي لنص " الحضارة أمي " إلى استنتاج عدد من الثنائيات المتقابلة ( العلم / الجهل )، ( التطور / التخلف )، ( التغير / الثبات )، (الأسر / التحرر)، (الخروج / البقاء ) ....إلا أن الثنائية الكلية المهيمنة على كامل النص الروائي هي ثنائية (التقاليد والحضارة).

- يكمن موضوع البحث ( القيمة ) في العلم ( التحضر )، فمن خلال تحفيز الابنين للفاعل الأساسي ( الأم ) تسعى هذه الأخيرة في تحقيق رغبتها في التغير والتعلم والتحضر وأخيرا السفر إلى الخارج واكتشاف العالم الآخر .

- مثل عنصر التحدي والصراع جزءا مهما في الرواية حيث قامت من أولها إلى آخرها عليه ، و الذي تنوع ووقع بين شخصيات مختلفة ( الابنين / الأم ) ، ( الأم / الأب)، ( الأم / المجتمع ) ، ( الحضارة / التقاليد ) ...( الابن الأصغر / المجتمع ) ....والتي لم يكن لها لتتحقق لوحدها دون أن تتمتع بالديناميكية اللازمة لإحداث التحولات المنتظرة وفق المحاور الثلاث للنموذج العاملي ( الرغبة،التواصل، الصراع ).

- زخرت الرواية بشخصيات مرجعية وأخرى استذكارية، التي عملت على ربط القارئ بالنص، وبالحقبة الزمنية التي وقعت فيها أحداث الرواية، كما بينت مدى الفرق بين العالمين العربي والغربي.

- عكست شخصيات رواية « الحضارة أمي " بصفاتها وطبائعها وطبقاتها إيديولوجية الكاتب وطريقة تفكيره، فترجمت رغبته في حتمية التغير والتطور.

- أحداث نص " الحضارة أمي " تمثل في مجملها استذكارات أو ذكريات الماضي بالنسبة للكاتب، الذي قام باسترجاع أحداث الطفولة بكل جزئياتها ( الزمن، المكان، الشخصيات)، حيث نقل على لسانه الجزء الأول منها " كيف كانت " ، وفسح المجال لإحدى شخصياته لتنقل أحداث الجزء الثاني " كيف أصبحت " والتي تمثلت في شخصية الأخ الأكبر " نجيب ".

- وردت أحداث الرواية متسلسلة ومترابطة، حيث ربطت بينها روابط سببية، زمنية ومنطقية، إضافة إلى المسوغات التي ساقها الكاتب والتي مهدت لوقوع الأحداث، لاستقبال القارئ لها.

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه المساهمة المتواضعة في تحليل وظائف الشخصيات الروائية لبنة للدراسات المستقبلية في دراسة هذه الرواية من جوانبها الأخرى.

# قائمة المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

**أولا: القرآن الكريم**

**ثانيا: المصادر:**

1- إدريس الشرايبي، الحضارة أمي، تر: سعيد بلمبخوت، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت أبريل 2014.

**ثالثا: المعاجم والقواميس:**

2- إبن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مج3، بيروت – لبنان 1999.

3- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ط1، عالم الكتب، الجزائر 2002.

4- الزبيدي، تاج العروس، تح. مصطفى حجازي، ج22، التراث العربي، الكويت 1973.

5- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة 2003.

6- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيمايائي للنصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر 2000.

7- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط2، دار الكتب، اللبناني- لبنان 2010.

8- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت – لبنان 2010.

9- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنجليزي، فرنسي)، ط1، دار النماء مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان.

10- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأداب، ط2، بيروت- لبنان 1984.

11- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.

**ثالثا: المراجع باللغة العربية:**

12- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2012.

13- جميل الحمداوي، الإتجاهات اليسميوطبقية "التيارات والمدارس اليسميوطبقية في الثقافة الغربية"، مكتبة الألوكة.www.aluKah.net

14- جميل الحمداوي، مستجدات النقد الروائي، ط1، شبكة الألوكة www.aluKah.net.2011

15- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت 1991.

16- سعيد بنكراد، السيمايائيات السردية ،مدخل نظري، منشورات الزمن ، الدار البيضاء 2001.

17- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنامينة نموذجا)، ط 1، دار مجد لاوي، عمان – الأردن 2003.

18- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع240، ديسمبر 1998.

19- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس دراسات أدبية ونقدية، المغاربية للطباعة والنشر، عالم الكتب 2006.

**رابعا: المراجع المترجمة الى العربية:**

20- برنار توسان، ماهي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، ط2، أفريقيا الشرق، بيروت – لبنان 2000.

21- دانيال تشاندلر أسس السيميائية، تر: د.هلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان 2008.

22- رولان بارت، مدخل الى التحليل البنيوي للقصص، تر: د.منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري 1993.

23- فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: د.عبد الكريم حسن، د. سميرة بن عمر، ط1، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 1996.

24- فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط 1990.

**خامسا: الرسائل الجامعية:**

25- أحمد أمين بوضياف، استراتيجية البناء العاملي وديناميكيته في الخطاب الروائي "مدينة الرياح" لموسى ولد بنو: نمودجا، رسالة ماجستير، تخصص أدب مغاربي حديث، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الأداب واللغات، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر 2006-2007.

26- كمال أونيس، النموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفي للحبيب السائح، رسالة ماجستير، تخصص نقد أدبي، قسم الأداب واللغة والعربية، كلية الأداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2004-2005.

27- نبيلة بونشادة، بنية النص السردي- غدا يوم جديد - لعبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير تخصص أدب عربي حديث، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الأداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2004- 2005.

**سادسا: الدوريات والملتقيات:**

28- طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجا، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، (الجزائر).

29- محمد داني، ماهي السيميائيات والصورة، semat، جامعة البحرين 2013.

30- مفيد نجم، كائنات من ورق: الشخصية الروائية في روايات إماراتية، نزوى، ع67، الإمارات يوليو 2011.

# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات

**- شكر وتقدير**

**- إهداء**

**- مقدمة**.....أ

**مدخل الى مفهوم الشخصية من المنظور السيميائي**

**المبحث الأول: مفهوم المنهج السيميائي**

تعريف السيمياء.....02

**المبحث الثاني: مفهوم الشخصية.**

- تعريف الشخصية.....07

أ- الشخصية عند فلاديمير بروب.....10

ب- الشخصية عند فليب هامون.....11

ج- الشخصية عند غريماس.....12

**الفصل الأول: وظائف الشخصيات في رواية "الحضارة أمي"**

**المبحث الأول: مفهوم الوظائف والشخصيات**

1. الوظيفة عند "بروب" و "رولان بارت".....15
2. مفهوم العامل عند غريماس.....18
3. أنواع الشخصيات عند فيليب هامون:.....19

أ- الشخصيات المرجعية.....19

ب-الشخصيات الإشارية.....20

ج- الشخصيات الإستذكارية.....21

**المبحث الثاني: الشخصيات ووظائفها في رواية "الحضارة أمي"**

1- الشخصيات المرجعية:.....22
أ. الشخصيات التاريخية.....22
ب. الشخصيات الأسطورية .....24
ج. الشخصيات الاجتماعية.....25
2- الشخصيات الإستذكارية.....26

**المبحث الثالث: النموذج العاملي في رواية "الحضارة أمي"**

**1- المستوى السطحي:**

**أ- بنية العوامل:**

- علاقة الرغبة.....43
- علاقة التواصل.....44
- علاقة الصراع.....45

**1-2 حركية البناء العاملي:**

- التحريك.....47
- المواجهة.....48

**2- المستوى العميق:**

2-1 المربع السيميائي.....49

**الفصل الثاني: بنية الحدث ومسوغاته في رواية "الحضارة أمي"**

**المبحث الأول: الحدث ومسوغاته.**

- مفهوم الحدث.....53
- مفهوم المسوغ.....55

**المبحث الثاني: بنية الحدث في رواية "الحضارة أمي"**

دراسة تطبيقية على الحدث.....56

**خاتمة**.....94

**قائمة المصادر والمراجع**.....99

**فهرس الموضوعات**.....103

# ملحق

## 1- تعريف إدريس الشرايبي:

ولد إدريس الشوايبي في 15 يوليو 1926 وتوفي في 1 أبريل 2007 يعد إدريس الشرايبي من أشهر رواد الأدب الفرنكفوني المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية.

درس في مدرسة محمد جسوس ثم تابع دراسته في ثانوية البوطي بالدار البيضاء، ثم سافر إلى باريس سنة 1946 ليدرس الكيمياء والطب النفسي، حصل على شهادة مهندس كيميائي سنة 1950 زار (إسرائيل) عام 1969.

مارس مهنا عديدة ما بين حارسي ليلى وحمال، وعامل، ومدرس للعربية ومنتج بالإذاعة الفرنسية قبل أن يصبح مهندسا كيميائيا.

أصدر روايته الأولى الماضي المنقضي سنة 1954 التي سببت جدلا واسعا في المغرب، كما قابلت كتاباته الموالية انتقادا شديدا في فرنسا خصوصا البوليسية منها التي جعلته كاتبا مشهورا في العالم بأسره. نال جوائز عديدة كجائزة إفريقيا المتوسطية على مجموعة مؤلفاته سنة 1973، وجائزة الصداقة الفرنكر عربية سنة 1981 وجائزة ماندلو لترجمة Naissance à l'Aube إلى الإيطالية.

## 2- مؤلفاته:

- الماضي البسيط 1954.
- الماعز 1955.
- من جميع الآفاق 1958.
- النجاح المفتوح 1962.
- سيأتي صديق لرؤيتكم 1967.

– الحضارة أمي 1972.... وغيرها من الروايات.

## 3- ملخص رواية الحضارة أمي

يسلط الكاتب المغربي إدريس الشرايبي الضوء على أمه، إذ يحاول فيها بطل الرواية مع أخيه مساعدة أمهما على الخروج من عزلتها والاضطلاع على العالم الخارجي. فتبدأ الأم في اكتشاف العالم الذي لم يكن بعيدا، وتبدأ في مقارنة العالم بعالمها الذي ظلت حبيسة فيه مدة من الزمن بسبب العادات التي فرضها عليها زوجها البرجوازي.

بأسلوبه الساخر يضحك على ذقون العادات والسلوكات البالية في مجتمعه، دون أن يفقد صرامة المهندس الكيميائي. إدريس الشرايبي المرح، كانت هي الصورة التي ترسخت في أذهان قرائه. فكان حريصا على أن يعود لمسقط رأسه، إلى الأرض التي بعثته سفيرا للمغرب، والتي رأى فوقها النور وليدفن في ترابها. «ما هي الجنة التي كنت أعيش فيها سابقا، البحر والجبل، إنها السعادة بمعنى الكلمة، قبل العلوم وقبل الحضارة والوعي. كم تمنيت العودة إلى هناك، أن تكون آخر أيام عمري في ذلك المكان».

رواية الحضارة، جاءت للبحث عن الإجابة المقنعة لسؤال وجودي، حيث يحاول الابن مساعدة أمه للخروج من عزلتها، بدأت تتحرر تدريجيا من خوف زوجها الذي لم يكن شريرا أو مستبدا، وإنما كان متشبثا بالتقاليد. تعرفت على محيطها والمجتمع وتصيح بأعلى صوتها في وجه الجميع. أربعة شخصيات رئيسية، الأم، الأخ، نجيب، الأب والراوي، فهي فترة كان فيها البلد تحت وطأة الحماية الفرنسية. فترة رأى فيها الراوي التحولات في مختلف المجالات، كانت أمه بدورها تعيش الفترة، كانت لها حواس وأفكار. المؤثرات المحيطة تركت مفعولها من طفلة تييمة خادمة في البيوت إلى زوجة لرجل بورجوازي. الرجل البورجوازي كان هو والد الراوي، بينما كان الزوج غارقا في أعماله بعيدا عن الأسرة، يتدخل الأبناء، ليخرجوا أمهم المحبوسة في

الدار مثل جل الأمهات علموها أن تلبس لباسا عصريا، أخرجوها إلى الأماكن التي لم ترها أبدا والتي كانت جدا قريبة منها، رأت كل المدينة ثم كل أرجاء البلاد.

في الجزء الثاني من الرواية يتغير الراوي الابن الأصغر ينتقل إلى فرنسا للدراسة، يبقى بقربها ولدها نجيب الذي قاطع الثانوية مبكرا ليتعلم الحياة بطريقة أخرى بعد الفراق وآلامه المرة، الأم تتعلم القراءة والكتابة، وتتعلم الحياة بدأت تعرف العالم عبر كل الوسائل، من تلك الوسائل دخل المذياع إلى بيتها، بدأت تتابع ما يجري في العالم. حصلت على الشهادات، وانخرطت في العمل السياسي والاجتماعي، تمردت وكانت تبحث عن حريتها وعن حرية كل النساء أثناء الحرب العالمية.

كانت تجوب البلد من أجل توعية النساء، استطاعت أن تسافر طولا وعرضا ثم إلى الخارج لتلتحق بولدها رفقة نجيب، وهكذا اكتشفت عالما غريبا بلا ضمير، كانت الدول الكبرى تستغل قوتها للهيمنة على العالم، وبعدها كانت الحرب العالمية تحصد الأرواح، بعد طول معاناة استسلم الزوج لتغيراتها، وندم على حبسها طوال تلك السنين، فبدأ يدعمها بماله لكي تقوم بأنشطتها السياسية، كأن يستقبل الضيوف والزعماء السياسيين.